مصنّفات غياث الدين منصور حسينى دشتكى شيرازى

(۱)

تجريد مسائل الحكمة

به اهتمام

عبدالله نورانى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهُمّ يا نورَ الأرض والسّماء ويا عالم السّرّ و الأخفىٰ،أنت أعلمُ بحوائج السّائلين. فلا تجعلنا فيما أمّلنا من الخائبين . صلّ و سلّم علىٰ أحمدَ ، الّذي أشرقت أراضي القُلوب بنوره و استضاء أبصارُ البصائر بحُضوره ، و آله و أصحابه و أتباعه وأحبابه.

و بعدُ ، يقولُ أقلُّ الخليقة ، بل اللّا شيء في الحقيقة ، منصورُ بنُ محمّد الحسينيّ ـ أحسن الله أحواله وحصّل آماله ـ إنّي جرّدتُ في هذا الكتاب،بالتماس بعض الأحباب، مسائل الحكمة عن البُرهان،تسهيلاً على الأذهان، و لكن وشّحتُها بإشارات إلىٰ حقائق و تلويحات إلىٰ دقائق مصنّفات خلت عنها مؤلّفاتُ الأوّلين و ُصنّفاتُ الآخرين . وها أنا أشرعُ في تحرير الكلام و تقرير المرام ، فأقولُ : رتّبتُ الكتابَ علىٰ قسمين.

القسم في الأوّلُ

فى [العلم] الطَبيعيّ

و هو علمٌ باحِثٌ عن أحوال الجسم الطبيعيّ من حيث إنّه ذو طبيعة . و الطبيعةُ مبداٌ أوّلُ لحركة ما هى فيه و سكونه بالذّات لا بالعرض ، علىٰ ما صوّرتُه ، و هو منصورٌ ، لا كما هو المشهورُ عند الجمهور ، فإنّ فيه قُصورٌ. و العلومُ الّتي هي أجزاؤه علىٰ ما عرفته في المنطق ـ ثمانيةٌ؛ و تُسمّىٰ كتباً: و هي كتابُ سمع الكيان، والسّماء و العالم ، و الكون و الفساد ، و الآثار العلويّة ، و المعادن ، و النّفس ، و النّبات ، و الحيوان . و إنّي جعلتُ كلّاً من الكتب فنّاً .

الفنّ الأوّلُ

في

سمع الكيان

و يقال له السّماع الطبيعيّ، أيضاً، لكونه أوّل ما يُسمَعُ في الطبيعيّات.

الأجسامُ المفردةُ قابلةٌ للقسمة إلىٰ غير النّهاية، فلا يصحُّ تأليفُها من الأجزاء الّتي لا تتجزّىٰ. الجسمُ كلّما كان أعظمَ كان تأثيرُهُ أقوىٰ. و هو مُتناهٍ من حيثُ المقدار و التأثير و التأثّر.

و أقولُ: الأولىٰ أن يُعبّر عنها بأنّ الأجسام المتشابهة متشابهةٌ مُتناسبةٌ حُكماً و أثراً، فهي مُتشابهةٌ قدراً و تأثيراً و تأثّراً.

و قد اشتهر بين المشّائين أنّ الأجسام تُخلعُ صورُها عند التّصغير المفرط. ولي فيه نظرٌ. و الأظهرُ عندي تخصيصُ الجسم بالتّصغّر.

المكانُ عند أفلاطون البُعدُ المجرّدُ، و عند أرسطو السّطح الباطنُ، و تفسيره بالسّطح الباطن من الجِسم الحاوي المُماسّ للسّطح الظاهر من المحويّ.

و عندي: الجسمُ المحيط من حيثُ إنّه محيطٌ من غير اعتبار التّعيين في جهة أُخرىٰ. و المعتبرُ على ما اعتبروه في الإحاطة التامّة و في المحيط الاشتمالُ مع الاتّصال، فمكانُ كلّ سافل من كُرات العالم عاليها. و الأرضُ، مع أنّه قعرُ الماء، مكانُه عرفاً ليس بمكان له عند الحُكماء. و ما في الماء من الانفصال المُستلزم للاتّصال بينَ المحيط و المُحاط لا يُوجبُ كونَها طرفاً، مع أنّه يصحُّ أن يكون المُحاط سطحاً أو جسماً طرفاً من مكان المحيط، إذا اتّصل بالمُحيط به و أحاط معه إحاطة معتبرة.

و لا يُتوهَمُ أنّ اعتبارَ الحاوي و المحويّ يُغني عن هذا ، فإنّه و همٌ ليس بذاك .

و الحيّزُ إمّا مكانٌ و إمّا ترتيبٌ ذو وضع . و لكلّ جسم حيّزٌ طبيعيٌّ يطلبُه عند الخروج عنه بأقرب الطّرُق . و حيّزُ المركّب ما يقتضيه الغالبُ من أجزائه إن كان فيه غالبٌ و إلّا حيثُ استوى المُحاذياتُ . فوسطُ الإضافيّين إذا استوى القُوىٰ كلّها، لا حيثُ اتّفق .

و ليس عندنا ما يدلُّ علىٰ وجود المعتدل الحقيقيّ ، و أدلّةُ امتناعه مدخولةٌ .

و لا يجوزُ أن يكونَ لجسم واحد حيّزان ، و لا لجسمين حيّزٌ، و إلّا اتّحدا .

لكلّ جسم شكلٌ طبيعيٌّ ، و هو للبسيط كُريٌّ ، وله قدرٌ طبيعيٌّ . و الطبيعةُ تفعلُ الأسهل فالأسهل . و التّخلخلُ ممكنٌ ، بل واقِعٌ ، و كذا التّكاثُفُ.

و الخلاُ مُحالٌ ، و لذلك يصعدُ الماءُ في الرّشاشة و الأُنبُوبَة . و لا يبقىٰ في جام العدم و لا ينقطعُ من جام الجور . و لا ينزلُ من الأوانى الضّيّقة الرّؤوس المثقوبة الأسافل بعدَ سدّ رؤوسها و يرتفع اللّحم في المحجمة و تنكسرُ القارورة الّتي أدخلنا فيها رأسَ الأُنبُوبَة . و إذا مصّت تحدث البقبقةُ عند دُخول الماء في الإناء الضّيّق الرّأس ، و يخرجُ من بلبلة واحدة مياهٌ مختلفةٌ حارّة و باردة و مُعتدلة . و لا يسقط السّندان المعلّق ، و من توهّم رفع الإصبع الأبيّة الانفصال سقط السّندان .

الحركةُ: كمالٌ أوّلُ لما هو بالقوّة من جهة ما هو بالقوّة . و لابُدّ لكلّ حركة من ستّة أُمور : ما مِنهُ ، و ما إليه ، و ما فيهِ ، أي المسافة ، و الزّمانُ ، و مالُه ، أعنى الموضوع، و ما بِهِ ، و هو المُحرّك .

و معنىٰ وقوع الحَركة في المقولة أن يكونَ للمُتَحرّك في كلّ آن فُرِضَ فردٌ من أفراد تلك المقولة . فلا يصحُّ وقوعُ الحركة في أن ينفعلَ ، و أن يفعل ، و متىٰ ، و في سائر المقولات بالذّات ، إلّا في الكم و الكيف ، و الأين ، و الوضع ، و هي نفسُ مقولة أن ينفعل.

ثمّ الحركة: قد تكون واحدةً بالشّخص ، و هي المتّصلةُ الغيرُ المنقطعة المتّحدةُ

في الموضوع و الزّمان و المسافة ؛ و قد تكون مختلفةً ،

و الحركاتُ المختلفةُ قد تكونُ واحدةً بالنّوع ، و هي المتّفقةُ في المسافة و المبدأ و المنتهىٰ ؛ و قد تكون واحدةً بالجنس ، و هي المتّفقة فيما فيه؛ و قد تكون متضادةً ، و هى المُتضادة في المبدأ و المنتهىٰ من حيثُ إنّه مبدأ و منتهىٰ.

و أيضاً ، الحركة إمّا مستديرة أو مُستقيمة ، و لا تضادَّ بينهما و بين المستديرات المختلفة الاستدارة . و مالايتجزّىٰ لا يصحُّ عليه الحركة ؛ و هي منطبعة على الزّمان و المسافة ، و هُما مُنقسمان إلىٰ غير النّهاية بحسب انقسام المسافة.

و كلّ حركة أينيّة فهىٰ منتهية إلىٰ سُكون ، و هي لا تكونُ طبيعيّةً على الإطلاق . و الطبيعيُّ منها ليس للهرب عن الحيّز الطبيعيّ ، بل لطلب الحيّز الطبيعيّ .

و أقولُ : لا مطلقاً ، بل إن كان بالذّات لا بالعرض ، كحركة الخَشَب المُنحنى بالقسر بالطبع إلى الوضع الطبيعيّ ، فإنّ المطلوب في هذه الحركة بالذّات هو الوضعُ من حيث إنّه وضعٌ . و الانتقالُ في الأين واقعٌ بالعرض ، فلم يلزم أن يكون الأينُ المنتهى إليه طبيعيّاً .

و المُستديرةُ لا تكونُ طبيعيّةً، و الذّاتيّةُ الدّائرةُ الدّائمةُ لا تكونُ طبيعيّةً و لا قسريّةً ، بل هي إراديّة ، و هي أقدم بالطبع و الشّرف على المُستقيمة .

و كلّ جسم لابدّ أن يكون فيه مبدأُ ميل وضعيّ أو مكانيّ . و لا يجوزُ أن يجتمعَ في جِسم واحد مبدأُ ميل مُستقيم و مُستدير ،

و كلُّ ما فيه مبدأ حركة مستديرة فهو لا يقبل الحركة المستقيمة أصلاً و بالعكس إلّا بالقسر ؛ إذ لا يصحُّ أن يكون الميلُ المستديرُ و الحركةُ المستديرةُ مُقتضى الطبيعة بشرط ، بل كُلّما يقتضيهما يقتضيهما دائماً ، بخِلاف المُستقيمة المشروطة بالخُروج عن الحيّز الطبيعيّ ؛ وليس للمستدير وضعُ طبيعيٌّ . هذا غايةُ ما يمكن أن يتكلّف من قِبلهم في تصحيح حكمهم هذا .

و فيه نظرٌ و بحثٌ . و الحقّ ما حقّقته في موضعه.

و السّرعة و البطؤُ من عوارض الحركة ، و ليستا بتخلخُل السّكنات و عدمه ، و الاختلافُ فيهما لا يوجب الاختلاف في الماهيّة .

و الطفرةُ غيرُ معقولة ، و هي ممنوعةٌ ، و دلائلها مقدوحةٌ، و ليس فيها مثلُ لزوم الانتقال من الحادّة إلى المنفرجة أو من هذه إلىٰ تلك من غير بلوغ إلى القائمة عند تحريك قطر ثابت طرفه إلىٰ أن يحدث قطعة أخرىٰ ، صُغرىٰ أو كبرىٰ ، أو تحريك وتر حتّىٰ ينطبق على القطر ، و الكيف الّذي توهّم لايُنجي . بل الصّوابُ في الجواب ما حقّقته فيما حقّقته و قرّرته .

وأمّا ما ينزحُ من البئر بجعل طوله نِصف عُمقه فجوابُه ظاهرٌ. وليس هو المشهور، لما فيه من القُصور . ولو تشبّث بالحبل لمزيّة الفرع لكان وجهاً . و فيه خدشٌ .

و بينَ كلّ حركتين سكونٌ . و أقولُ : الأولىٰ أن يقال: بينَ كلّ حركتين حادثتين عن مِثلين مُستقيمين ؛ لينطبق البرهانُ عليه . و لا يُنتقضَ بكثير من الصُّوَر ، منها حركة كُرة في كُرة في كرة ، بحيثُ يكونُ مُحيطة المُحاط مماسّةً لمحيط المحيطة بها بنُقطة ، فيكون محيطُ الأوّل مماسّة لمحيط الثانية.

و يكونُ قُطرُ منطقة هذه الثّانية ـ و نعنى بها مدار مركز الأُولىٰ ـ نصفَ قطر منطقة الثّالثة و أُريد بها دائرةٌ في تحتها مماسّةٌ لمنطقة الثّانية من داخل بنقطة ؛ و حركة الثّانية ضِعفُ حركة الثّالثة ، فإنّ هذه الصّورة إذا اتّفقت بحيثُ يكونُ القطرُ المارُّ بنُقطة التّماسّ علىٰ سمت مركز العالم استلزمت حركة الأُولىٰ صعوداً و هبوطاً من غير سُكون . اللّهمّ إلّا أن يُمنَعُ إمكانُ تلك الصّورة .

و فيه ما فيه . فإنّ لأمثال هذه النّقوض أجوبةً قرّرتُها في مقرّها.

و علّةُ السّكون ليس امتناع تتالى الآنات ، كما توهّم بعضُ المتأخّرين ، إذ لا يتقدّرُ بذلك زمان السّكون و لا تعارضُ القوّتين على الوجه المشهور ، و لا القوّة الحادثة من القاسر، علىٰ ما نقل عن الشّيخ ؛ لما أشرنا إليه في موضعه ، بل لما أشرنا في موضعه .

و لكلّ حركة مبدأٌ، و مبدأ الحركة قد يكونُ من ذات المتحرّك، و قد يكونُ من خارج. فعلى الأوّل يسمّى الجسمُ المتحرّكُ متحرّكاً بذاته؛ و حركته ذاتيّة، و هي إمّا طبيعيّة أو إراديّة، و الإراديّةُ ما يكونُ للإرادة مدخلٌ في وجوده؛ و على الثّاني إن كان المتحرّك لجُزء من المحرّك أو كان المبدأ مكاناً له بالطّبع فالحركةُ عُرضيّة، و إلّا قسريّة. و قد تُطلقُ الذّاتيّةُ علىٰ ما يعمّ القسريّة، و يخرج عنه العرضيّةُ.

و ما ذكرناه أولىٰ ممّا هو المشهور، من أنّ الحركة العرضيّة ما يكونُ عارضاً لجسم بواسطة عروضه لجسم آخر، أي يكونُ الجسم الثّاني واسطة في العروض، و أنّ المتحرّك بالعرض ليس فيه ميلٌ، فإنّهما فاسدان، لما فصّلناهُ في مواضع لائقة بذلك.

و ما أصاب من أثبت قِسماً آخر، و سمّاه بالتّسخيريّة، و مثّل بحركة النبض؛ بل الأشبهُ عندي بحسب النظر الطبيّ أنّ حركة النبض حاصلةٌ من جذب و دفع، و علّتها هو النّفس بواسطة القُوىٰ، و النّظر الحكميّ يقتضى كونها طبيعيةً صرفةً، و بيانُه لا يليقُ بهذا المقام، و المشهورُ في ذلك كلامٌ هائلٌ ليس فيه طائلٌ.

و السّكونُ: عدمُ الحركة عمّا من شأنه الحركة، والزّمان مقدار الحركة، و يجبُ أن تكون الحركة الحافظة له مستديرة. و ليس للزمان و الحركة شيء يتقدّم عليهما.

ونسبةُ الآن إلى الزّمان كنسبة النّقطة إلى الخطّ. و الزّمان منطبق على الحركة و المسافة. و لا يصحُّ وجود آنٍ في زمان بالفعل، و الأُمور الواقعة في الزمان هي المنطبقة عليه أو طرفه.

و ليُعلم أنّ الموجود من الحركة هي التّوسّطيّة دون القطعيّة، و لكلّ حركة مستقيمية جهةٌ تطلبُ الوصول إليه أو إلىٰ قربه، و يجبُ أن تكون موجودةً، أي متعيّنة الوضع، و هي كثيرةٌ.

و الطبيعيّة اثنان، الفوق و التّحت، و هما متّحدان، و محلّهُما يجبُ أن يكون جِسماً واحداً بسيطاً كُريّاً. فالفوقُ سطحُه المحدّبُ، و التحتُ مركزُه؛ و الثّقيلُ ما يميلُ بطبعه إلىٰ تحت، و الخفيفُ ما يميلُ بطبعه إلىٰ فوق.

الفنّ الثّاني
في
السّماء والعالم

السّماويّات قابلةٌ للحركة المستديرة و الميل المستدير، فهما فيها، فلا يصحّ عليها الميلُ المستقيمُ ؛ فلا تكون قابلةً للخرق و الالتيام و الكون و الفساد ، و النّموّ والذّبول ، والتّخلخل والتّكاثُف ؛ و لا تكون ثقيلةً و لا خفيفةً ، فلا تكونُ حارّةً ولا باردةً ، ولا رطبةً ولا يابسةً . وقيل : إنّها غيرُ مُلوّنة.

والكواكب مضيئة بذواتها غيرَ القمر . وهي متحرّكة بحركة أفلاكها ، ولا تنخرقُ أفلاكها في حركتها ، خلافاً لبطلميوس، الذّاهب إلىٰ أنّ كرة التّدوير تخرقُ الحامل ، والكواكبُ تخرقُ التّدوير. والأفلاكُ الكلّيّة في المشهور تسعةٌ ، وهي مشتملةٌ على أفلاك أُخَر جزئيّة ، والمجموعُ أربعة وعشرون ،كما أشار إليه المنجّمون.

وما أورد عليه المتأخّرون ، من أنّ الأفلاك خمسة وعشرون ، غيرُ وارد ، إذ لا ظهورَ لاعتبار مجموع الجوزهر والمائِل في القمر فلكاً آخَر ، ونسمّيه بالمُمثّل ، إذ ليس له وراء الجُزئين المُعتبرين شيء آخرُ،بخلاف ممثّلات سائر الافلاك، لاشتمالِها على المتّممات الغير المعتبرة. ولكذلك قال بعضُ المحقّقين : ممثّلُ القمر جوزهرُه.

و الأفلاك كلّها بسائط، و تعتبرُ علىٰ أشكالها الطبيعيّة في أحيازها الطبيعيّة متحرّكةً بالاستدارة ، فحركاتها إراديّة ، فلها قوىٰ بها تدرك الكلّيّات وقوىٰ بها تدرك الجزئيّات . وأقربُها إلينا فلكُ القمر ، وهو محيط بُكرة النّار الحارّة اليابسة المحيطة بالهواء الحارّ الرّطب ، المُحيط بالماء البارد الرّطب ، المُحيط بثلاثة أرباع الأرض ، الواقع في الوَسَط ، الباردة اليابسة . وأمكنتها الطبيعيّة بهذا التّرتيب .

والنّارُ متحركةٌ بحركة الفلك تشبيهاً له. والحرارةُ توجبُ الخفّة، والبرودةُ الثّقل.

والعالمُ الجسمانيّ واحدٌ ، وهو الّذي نحن بقرب مركزه ، والثّقيل يرسبُ ، والخفيف يطفو . والأجسام المُتساوية في الثّقل والخفّة تقفُ في أحياز واحدة، ولذلك يدخلُ بعضُ الفلك في الماء.

الفنُّ الثّالثُ

في

الكَونِ والفَساد

وأُصول المركّبات هي العناصر الأربعة. وينقلبُ بعضُها إلىٰ بعض ويستحيل بعضُها إلىٰ كيفية بعض. والقول بالكمون والمحبّة والغلبة باطلٌ. والبسائط لا ينخلعُ صُوَرُها عند الامتزاج. والمِزاج هو الكيفيّة المتوسّطة بين كيفيّات الممتزجات.

انظر حكمةَ الباري كيف خلق الأفلاك و الأُصول، وأظهر بها منها الأمزجةَ المختلفة، و جعل لكلّ مزاج أبعدَ من الاعتدال سبباً لحصول نوع أبعدَ من المال والأقرب سبباً للأقرب.

ولكلّ من الكيفيّات الأربع الّتي هي كيفيّات الأُصول لوازمُ فصّلت في موضعها. والحرّ والبرد متعاقبان. وهذه الأربعةُ مغايرةٌ للأفلاك. وما قيل ـ من إنّ للفلك طبيعة خامسة ـ أريد أنّه طبيعةٌ جنسيّةٌ، كما صرّح به الشّيخُ وغيره من أرباب الصِّناعة.

وبالجملة، إنّ الله ـ تعالىٰ ـ خلق بإرادته أجراماً مُنضّدة، بعضُها فوق بعض من الفلك الأعلىٰ إلىٰ مركز الأرض،

وجعل من سطح الفلك الأعلىٰ إلىٰ بسيط الأرض لطيفةً مُشِفّةً مختلفة اللّطافة عريّةً عن صرافة الكثافة.

ثمّ جعل بلطفه الأنوار الفائضة من العلويّات، مستقيمة ومُنعطفة ومنعكسة، عللاً لاستحالات السّفليّات، فصارت روابط بها حصّلت التيامها و وشائجَ بها اتّصلت أرحامها.

فلمّا انبسطت الأضواءُ علىٰ طبقات العناصر ونفذت في شفيفها امتزج لطيفُها بكثيفها، فتولّدت من بينها المتولّداتُ من الحيوان و المعدن و النبات.

الفنُّ الرّابعُ

في

الآثار العلويّة

من إشراق الشمس والكواكب على الأراضى والمياه يرتفع البخارُ والدُّخان ، وهما سبَبان لما يحدثُ في الجوّ و الأرض من الغَيم والمطر والثّلج والرّيح والرَّعد والبَرق والصّاعقة والصّقيع والزّلزلة والبِحار والعُيون والهالات وقَوس قزح والنّيازك والسّهام والشُّهُب . وكيفيّةُ حُدوث كُلّ ذلك مشهورةٌ. ولنا على المشهور مؤاخذاتٌ ، لكنّ الأليقَ بالتّنبيه عليها و الإشارة إلىٰ تحقيق الحقّ فيها موضع آخَرُ. والتأمُّل في بناء الحمّام وعوارضه نِعمَ العونُ علىٰ إدراك مائيّة الجو وكثير من حوادثها .

و محصّل الكلام ، أنّ الماء إمّا أن يتصاعد إلى الجوّ أو يُحبس في الأرض ، و المُتصاعدُ قد يبلغُ الطبقة الزمهريريّة ، فيتكاثفُ سحاباً و ينزل المطرُ أو ثلجاً أو برداً؛ و قد لا يبلغها فيصيرُ ضباباً أو ينزل صقيعاً و طلّاً، و قد يتصاعدُ مع البخار دُخانٌ فيحتبسُ في السّحاب فيحصلُ من تمزيقه و مصاكّته صوتٌ هوالرّعدُ . و ناريّةٌ لطيفةٌ هي البرقُ أوكثيفة هي الصّاعقةُ . و قد يتكاثفُ الأبخرة و الأدخنة الصّاعدة لعلّةٍ فيتحرّك و يتموّجُ به الهواء و الرّيح ، و قد يكونُ للرّيح أسبابٌ أُخَرُ.

و أمّا الأبخرة و الأدخنة المحتبسة في الأرض يحدثُ منها الزّلزلةُ و الخسفُ و انفجارُ العيون و كثيرٌ من المواليد الثلاثة ، علىٰ ما سنُشيرُ إليه. و إذا امتزج الماءُ بالتّراب و حدث صيفٌ لزج فصادفه حرٌّ شديدُ عقده حجراً ، فإذا وقعت الأمطار و جرت السّيول عليه و عصفت الرّياح به ذهبت الأجرام الرّخوة و بقيت الصّلبة . و إذا استمرّ الانفجار بالسّيول و الأمطار غارت جوانبُه و ارتفع مابقي جبلاً شاهقاً ، وكثيراً مّا يتولّد الجبَل في البحار و خصوصاً في السّواحل ، لامتزاج الأرضيّة بالمائيّة.

الفنّ الخامسُ

في

المعادن

المعادنُ تتكوّنُ من امتزاج الأبخرة و الأدخنة المحتبسة في الأرض امتزاجاتٌ منبثّة و اختلاطات مختلفة بحسب الأمكنته و الأزمنة و الموادّ. فإن غلب الدّخانُ حدث مثلُ الكبريت و الزّاج و اليشم و البلوّر على اختلاف انعقادها . و إن غلب الدّخانُ حدث مثلُ الكبريت و الزّاج و الملح و الزّرنيخ و النّو شادر على حسب امتزاجها بحسب صغار موادّها وكدورتها و غلبة بعضها على بعض في الامتزاج.

و أمّا الجواهرُ المتطرّقة الّتي تعرف بالأجساد السّبعة ، فتتولّدُ من اختلاف الكبريت و الزّيبق . فإن كانا صافيين و امتزجا امتزاجاً تامّاً و نضبح الكبريتُ نضبحاً بالغاً تولّد الذّهبُ إن كان الكبريتُ أحمَر غيرَ مُحرق ؛ و الفضّةُ إن كان أبيضَ. و إن لم يكمل الامتزاجُ بينهما فالمخالطة تُولّد الرّصاصَ . و إن كانا رديّين ـ أي قويّ الاختلاط و التركيب ـ فحديدٌ ؛ و إلّا سربٌ إن لم يقو .

و إن كان الكبريت رديّاً و الزيبقُ صافياً و صادفهُ قبل تمام النّضج بردٌ عاقدٌ تولّد الخارصنيُّ ، و إن أحرقه الكبريت تولّد النُّحاسُ.

الفنّ السّادسُ

في

النّبات

إنّه يغتذى و يتولّد و يولّد و ينمو و يكون فيه ذكرٌ و أُنثىٰ ، و فيها شيءٌ كالرّحم و هي النّهيات في عقد الأغصان و شيءٌ كالبيضة ، مثل البذر، و ينقسمُ إلىٰ ما يحتاج إلى الفحل و ما لايحتاج إليه، ثمّ المحتاجُ في الأثمار فقط كالنّخل و المحتاج في الإيلاد و المحتاج فيهما . و تختلفُ أحوال النّباتات حسبَ اختلاف الأزمنة و الأمكنة . و القوى النّباتيّة تكون في الأصل و الغُصن و الشّجر أكثر . و ربّما يوجد شيء منها في البذر.

و من النّبات ما لا يتكون إلّا من البذر و الشّجر ، و منها ما لا يتكوّن إلّا من الأصل و الغُصن و الشّجر ، و منها مايتكوّن منها، و ربّما يتكوّن من بذر واحد في بلاد مختلفة نباتات مختلفة.

و أوّل ما يتكوّن من النّبات أوّليّةً بالطبع لا بالزّمان أو الكمال طبقاتٌ ثلاثٌ يقوم جرمُه بها . منها اللبُّ و ما يتّصل به ، و منها العُودُ كالخشب و ما يشبهه و ينابسبه ، و منها اللّحمُ و ما يُتمّمه و ينتمي إليه. و قد يصحبُ تكوّنُ ذلك تكوّن الورق.

و الغرضُ الطبيعيّ في النّبات إمّا في عوده أو ساقه أو أصله أو ورقه أو قشره أو غُصنه أو ثمره . و لمّا لم يجد الجرمُ الصلبُ غذاءً يتشبّه به دفعةً بلا تدريج ، خُلِقَ في الأشجار الصّلبة العظام لبٌّ يشبه المخّ في العظام .

و أمّا الأشجار الضعيفة القوام المتخلخلة ، فإنّها لا تحتاج إلىٰ ذلك . و ما كان

غرضُ الطبيعة منه فيه أن يعظم حجمهُ و يطول قدّهُ في مدّة قصيرة امتنع أن يكون صُلباً ، فإنّ الصّلبَ يحتاجُ إلىٰ مادّة يابسة متكاثفة و هذه رطبة متخلخلة . و التّصرّفُ في مثلها يحتاجُ إلىٰ طول مدّة و صلابة مادّة .

و من النّبات ما هو برّيّ ، و منه ما هو بستانيّ ، و قد يجعل البرّيّ بستانيّاً بالتّربيةفيصير أرطب، و قد ينعكس. ثمّ من النبات ما يقبل الوصل و منه ما لا يقبل.

و الوصلُ قد يكونُ بإلحام الموصول بالموصول به ، فيحتاج أن يتلاقى القِشران علىٰ تماسّ لينجذب المائيّة من العشر في الفشر ، و قد يكون بإلحام الموصول منه في الموصول بأن يهدم هيأته في غلاف هيأته و ورقه . و من النبات ما يستحيلُ إلىٰ جنس آخر ،كالتمام ، يصير نعناعاً ، و البادروج يصير شاهقرم.

الفنّ السّابعُ

في

الحَيَوان

إنّه يتولّدُ و يتوالدُ و يغتدى و ينمو و يتحرك بالإرادة . فمنه ما يحتاج إلىٰ تنفّس الهواء ،كالانسان ، و منه ما يضطرّ إلى استنشاق الماء ،كالسّمك ، و منه ما لا حاجةَ له إلىٰ شيء منها. و تختلفُ الحيواناتُ بحسب الأعضاء و أوضاعها و أحوالها و قواها و مشاعرها و مداركها . و كلّ حيوان شحيم ذو ثرب فدماغه دسيم ، و ما لا شحم له فلا دسومة لدماغه ، و الأذون ولودٌ ، و ما ليس له أذنٌ ظاهر يتكون في الأغلب عن البيضة : و من الحيوان ما لايغتذى مدّةً ، فيكون مع ذلك في غاية السّمن و القوّة ، كالدُّبّ في الشّتاء و القُنفذ . و من الحيوان ما يغتدى بالحيوان فقط أو النّبات فقط ، و نه ما يغتدى منهما . و الغذاء ينهضم و يستحيل إلىٰ ما يتشابه المغتذى.

وللهضم في الحيوانات الكاملة أربعُ مراتب و تنفصل في كلّ مرتبة فضلةٌ .

أوّلها: للهضم الأوّل الّذي في المعدة أو ما يقوم مقامه ، و ما هو البرازُ .

و ثانيها: للثّاني الّذي يكون في الكبد أو ما يحذو حذوه ، و هو البولُ .

و ثالثها: للثّالث الّذي يكون في العروق ، و هو العرق .

و رابعها: للرابع الّذي يكون في الأعضاء،وهو المنيّ، ويدفعه الطبيعة إلى الأُنثيين، و يستحيلُ إلى البياض و يستقرّ في الرّحم و يتولّد منه الولدُ باستحالات مختلفة ، فيكون نطفةً، ثمّ يحدث فيه زبديّةٌ ثمّ نقطةٌ دمويّةٌ، و بعد ذلك يكون علقةً ثمّ مضغةً .

و القلب و الدّماغ و الكبدُ و الأُنثيان و المِعدَةُ من الأعضاء دون الرئيسة،كما قيل .

و ذهب المعلّم الأوّل إلىٰ أنّه ليس للمرأة منيٌّ بالحقيقة ، و أنّ مادّة المرأة الّتي تسمّىٰ منياً ليس فيها قوّة مولّدةٌ ، بل متولّدةٌ . و التولّدُ يحتاجُ إلىٰ قوّتين . و خالفه جالينوسُ.

الفنّ الثّامنُ

في

النّفس

قد علمتَ أنّ المزاج كلّما كان أقربَ إلى الاعتدال كانت الصّورةُ الفائضةُ عليه أشرفَ ، و الآثار الصّادرة عنها أكثر .

فإذا قربُ مزاجُ الممتزج إلى الاعتدال قرباً أزيدَ من مزاج المعادن استحقّ لأن يفيض عليه من المبدأ الواجب بالذّات ـ علىٰ ما هو المذهب المنصور ـ نفسٌ نباتيٌّ .

و قد عرّفوه بأنّه كمالٌ أوّل لجسم آليّ طبيعيّ من جهة ما يغذو و ينمو و يتكمّل و يتولّد ،

و له قوىٰ تخدمه في إبقاء الشَّخصِ ، و هي الغاذية و النّامية ، و النّوعِ و هي المولّدةُ . و الغاذيةُ تخدمُها الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدّافعة ، و النّامية تخدمها الغاذية.

ثمّ إذا كان المزاجُ أعدل ممّا للنّبات قَبِلَ صورةً و كمالاً أشرفَ . و هي كمال أوّل لجسم طبيعيّ آليّ من جهة ما يدرك الجزئيات و يتحرّك بالإرادة .

فلها قوّتان مدركة و محرّكة.

أمّا المُدرِكةُ فتنقسمُ إلى الحسّ الظاهر و الحسّ الباطن .

أمّا الأوّل فخمسٌ، و هو السّمع و البصر و اللمس و الذّوق و الشمُّ .

و أمّا الثاني فهو الحسُّ المشتركُ و الخيال و المتخيلة و الواهمة و الحافظة .

و محلُّ الأوّل مقدّمُ البطن الأوّل ، و محلُّ الثّاني مؤخّرهُ ، و محلّ الثّالث مقدّمُ

الثاني ، و محلّ الرّابع مؤخّره ، و محلّ الخامس مقدّمُ الثّالث.

و المحرّكة تنقسم إلىٰ [قسمين] باعثةٍ و فاعلةٍ ، و للباعثة شُعبتان ، شهويّةٌ و غضبيّةٌ .

ثمّ أتمُّ الحيوانات هو الإنسان ، و عُرِّفَ بأنّه كمالٌ أوّلُ لجسم طبيعيّ آليّ من جهة ما يفعلُ من الأفعال الفكريّة .

و لها قوّتان ، نظريّةٌ ، و هي الّتي تُدرِكُ الحقائق الكليّة و أحكامها المطابقة لما في نفس الأمر ، و عمليّةٌ ، و هي الّتي تستنبط الصّناعات بالضّرورة و الملكات الحاصلة في القوى الحيوانيّة . وكلاهما عاقلةٌ ، و تهبط عنها إلى القوّة الشّهويّة هيئات انفعاليّة ،كالضّحك و البكاء و الخَجل و الحياء . و هي مجرّدة .

انظر حكمة الباري ،كيف خلق الإنسانَ من نطفة من ماء مهين ، ثمّ علقة ، ثمّ مضغة ، ثمّ عظماً ، ثمّ لحماً، ثمّ أنشأه خلقاً آخرَ بنشئآت ذات أطوار مستودعة لغرائب الأسرار ، ثمّ منحهُ قوىٰ بها يلجُ ملكوتَ السّماوات و الأرض ، و هي المشاعرُ الظاهرة و الباطنة ،

و أيّد الأوّل بما أشرق عليه من أضواء الجواهر الجسمانيّة ،كما أيّد الثّانية بما أشرق من أنوار الجواهر الرّوحانيّة . ففلق إصباحهما ، و هما في الليل البهيم ، و جلّىٰ لهُما صورةَ المُلك و الملكوت في أحسن تقويم ،

فسبحانَ من خلق النّور ، و بصّر بالنّور، و هدىٰ بالنّور إلى النّور.

<١> هدايةٌ

الصحّة صفةٌ موجبةٌ لسلامة أفعال موضوعها ، و مقابلها المرضُ المنقسمُ إلى البدنيّة و النّفسيّة . فلكلّ من الكلّ في اللّيس و الأيس أسبابٌ و مُعِدّاتٌ ، و أعدّ من علّة العلّة أيساً تغشاه رذائل خُلقيّة مُضِلّة مُظلِمة حاجبة عن إشراقات لمعات نوريّة جالبة عن قوابل خالية.

<۲> تنبيهٌ وإنارةٌ

إنّ القوىٰ تُحاكى بأفعالها صفاتِها، فمن تحلّىٰ بـالحلاوة يـعسرُ عـليه اكـتناهُ المرارة و البشاعة.

و مَن يك ذافم مُـرّ مـريضٍ   يَجِد مُـراً بـهِ المـاء الزّلالا

<۳> تمثيلٌ وإراءةٌ

إفاضةُ الشّمس متشابهة مختلفة ظهوراً و نوراً في قوابل مختلفة جلاءً و صفاءً . و ربما تُرىٰ بألوان شتّىٰ ، متناسبةً للوسائط ، متشابهةً للروابط.

<۴> تلويحٌ وإشارةٌ

الرذائلُ تَمنعُ الفضائل ، و تُزاحم قبولها ، و تُكدّر قـوابـلَها ، و تُـظلمها ظـلاماً لايتأتّىٰ معه الاستنارةُ بها ، لوجوه شتّىٰ يظهر بالنّظر فيها مـنها تـنافيهما ، و مـنها صرف الأُولىٰ عنانَ الهوىٰ نحو الهوىٰ و الرّدىٰ ، و منها ما يـزاحـمها بـمحاكـات المختيّلة صفاتِها ، و منها وجوهٌ أُخرُ فصّلتها في مواضع تليق بها.

<۵> روايةٌ وحكايةٌ

قال إمام الحكماء : «من أراد الحكمةَ ، فليُحدِث لنفسه فطرةً أُخـرىٰ»، و لقـد جرت العادةُ الكريمةُ من الكرام بإزالة الرّذيلة الذّميمة . و هي شنشنةُ اللئام بالتّمام.

و لنُشرِ إلىٰ شيء من الفضائل و مقابلها إشارةً مـا، فـنقولُ : أصـولُ الفـضائل أربعةٌ ، العفّةُ و الشّجاعةُ و الحكمةُ و العدالةُ ، بإزاء كـلّ مـن الرذائـل مـن الإفـراط و التفريط و الرّداءة . فاعتدالُ الأفعال في كلّ قوّة فضيلةٌ ، و انحرافُـها عـنهُ إفـراطاً و تفريطاً أو رداءةً رذيلةٌ . فانتظامُ الغضب شَجاعةٌ، و توسّطُ الشّهوة عِفّةٌ ، و استقامةُ القوّة العقليّة حِكمةٌ ، و توسّطُ الكلّ و تساهلها عَدالةٌ.

القسم الثاني
في
الإلٰهيّات

و هو علمٌ باحث عن الموجود بما هو موجودٌ. وفيه ستّةُ فنون مُشتملة علىٰ مقاصد، أجزائه الخمسة و شيء من فروعه.

الفن الأوّل
في
الفلسفة الأولىٰ

و فيه فصول

الفصل الأوّل
في
الوجود

و هو معنىً واحدٌ بديهيٌّ مشتركٌ بين الموجودات زائدٌ بحسب التّصوّر علىٰ الماهيّات ، و هو مرادفٌ للثّبوت و مُساوقٌ للشّيئيّة.

و ينقسم إلى الذّهنيّ و الخارجيّ ، مقولٌ علىٰ ما تحته بالتشكيك ، متكثّرٌ بتكثّر الموضوعات ، و لا واسطةَ بينه و بين العدم ، و لا تمايزَ في الأعدام ، فلا تصحُ إعادتُها . و إذا حُمِلَ الوجودُ أو جُعِلَ رابطةً تثبتُ موادُّ ثلاثٌ ، هي الوجوب و الامتناع و الإمكان ، وكذا العدمُ . وكلّها بديهيّةٌ . و قد توجدُ ذاتية ، فلا يمكنُ انقلابُها ، و قد يعتبر الأوّلان بالقياس إلى الغير ، والثّلاثة اعتباريّةٌ . و الإمكان هو المُحوِجُ إلى السّبب ، و الوجوبُ الشّاملُ للذّاتيّ و الغيريّ مساوقٌ للوجود.

ثمّ الوجودُ إمّا قديمٌ أو حادثٌ، و إمّا مقدّمٌ و إمّا مؤخّر. و القِدمُ و الحدوثُ قد يكونان ذاتيّين، و قد يكونان زمانيّين.

و التّقدّم إمّا بالعليّة أو بالطبع أو بالزّمان، أو بالرّتبة الحسّيّة أو العقليّة أو بالشّرف. و المسبوق بالمادّة مسبوقٌ بالمدّة و الحدوث الزّمانيّ مشروط بتقدّم المادّة و المدّة. و الإمكان قد يكون استعداديّاً، و هو قابلٌ للشدّة و الضّعف، و مغايرٌ للإمكان الذّاتيّ.

ثمّ الوجودُ و العدمُ و جهاتُهما، و الحدوث و القِدَمُ، و الماهيّةُ و الكلّيّةُ و الجزئيّةُ، و الذّاتيّةُ و العرضيّة، كلّها معقولاتٌ ثانيةٌ؛ و قد يكون الحدوثُ و العدمُ اعتباريّان عقليّان ينقطعان بانقطاع الاعتبار، فلا تسلسلَ؛ و كذا في نظائرهما.

و الحكمُ الصّادقُ هو المطابقُ لما في نفس الأمر، و الحملُ الصّحيحُ يستدعى اتّحادَ الطرفين من وجهٍ. ثمّ الوجودُ قد يكونُ بالذّات و قد يكونُ بالعرض، و لا اشتغال لنا بالموجود بالعرض.

الفصل الثّاني
في
الماهيّة

و هي ما به يُجابُ عن السّؤال بما هو. و ماهيّةُ كلّ شيء مغايرةٌ لجميع ما يعرضُ لها من الاعتبارات، فهي من حيث هي ليست إلّا هي.

و الماهيّةُ المحذوفُ عنها ما عداها، بحيث لو انضمّ إليها شيء لكان زائداً عليها، و لم يكن مقولاً على المجموع، هي الماهيّة بشرط لا شيء و لا توجد إلّا في الذّهن؛ و قد تعتبرُ لا بشرط شيء، و هي موجودة في الخارج و صادقة على المجموع الحاصل منه و ممّا يضاف إليه، وقد تُعتبرُ بشرط شيء.

و الماهيّة قد يكون لها جزء و هي المركّبة، و يقابلها البسيطة. و كلاهما معلّلٌ

بالغير . و أجزاء المركّبة قد تكون متداخلةً و قد تكون متباينةً و قد تكون متمايزةً في الخارج و قد لاتكون. و قد تكون غير محمولة ، فتكون جنساًو فصلاً .

و الجنس كالمادّة و الفصل كالصّورة ، و ما لا جنسَ له لا فصل له . و لا يـمكنُ وجودُ جنسين في مرتبة واحدة لماهيّة واحدة . وكذا الفصل التّامّ . و يجبُ تناهيهما.

و الجنسُ قد يكون مفرداً و هو ما لا جنس فوقه و لا تحته . و قد لا يكونُ.

وكذا الفصل يـنقسم إلىٰ عـال و سـافِل و مـتوسّط ، و إلى الطـبيعيّ و العـقليّ و المنطقيّ ،كالكليّ . و الكلّيّ بعمومه لا يوجد في الخارج.

و التشخّص من الأمور الاعتباريّة ، و هى زائدةٌ على الماهيّة داخلة في الهويّة . وما به التشخّصُ فقد يكون نفسَ المـاهيّة أو لازمَـها ، فـلا يـتكثّر . و قـد تكـون العوارضُ اللاحقةُ من قِبل المادّة المتشخّصة بذاتها أو بالأعراض الحالّة فيها .

و كلّ نوع متكثّر الأفراد مادّيّ ، و لا يحصل التّشخُّصُ من انضمام الكليّ العقليّ إلىٰ مثله ، و التشخّصُ يغايرُ الوحدة و الماهيّة و هـى مـغايرةٌ للـوجود . و الوحـدة بديهيّةٌ غنيّةٌ عن التّعريف مغايرة للماهيّة ، و الكثرةُ مؤلّفة مـنها . و هـي عـرضيّة مقولةٌ علىٰ ما تحتها بالتّشكيك . و هى منقسمةٌ إلى الوحدة الحقيقيّة و الاعـتباريّة والوحدة الاتصاليّة و الجنسيّة و النّوعيّة و الشخصيّة و الفصليّة من أقسامها.

و قد يعتبر الواحدُ بـالموضوع و بـالمحمول و بـالمناسبة و بـالذّات و بـالقيام و بالتّماسّ و بالاجتماع و بالعرض و بالاعتبار.

و اتّحاد الاثنين مُحالٌ ، و المتقابلان هما اللذّان لا يجتمعان في موضوع مـن جهة واحدة . و التّقابل ينقسمُ إلى السّلب و الإيجاب ، و العدم و الملكة ، و التّضادُّ والتضائف . و الكلّ مشهورٌ مذكورٌ ، علىٰ ما عرفته في المنطق.

و الوحدةُ ليست مبدءاً لجميع الأشياء . و القول بـالمُثُل و التـعليمات بـاطلٌ . و قيل لابدَّ في الماهيّة المركّبة من احتياج الأجزاء بعضها إلىٰ بعض و إلاّ لم يتصوّر التركيبُ ، و ما صحّحوا ذلك ببرهان ، بل ادّعوا بداهته .

الفصل الثالث

في

العلّة والمعلول

العلّة إمّا ماديّةٌ أو صوريّةٌ أو فـاعليّةٌ أو غـائيّةٌ . و يـجب التّـناهي فـي جـميعها . فالتسلسل باطل ، و كذا الدّورُ ، و الأمرُ الواحدُ البسيطُ من حيث أنّه واحدٌ لا يصدرُ عنه إلّا الواحدُ.

و العلّة التّامّةُ يجبُ حُصولُها عند حصول المعلول، ويجبُ حصولهُ عند حصولها. و تأثيرُ الجسمانيّات بمقارنة الوضع ، فلا يصحُّ أن يكونَ جسمٌ علّةً لجسم . و الفعلُ الإراديُّ يفتقرُ إلىٰ تصوّرٍ جزئيٍّ ليتخصّص به الفعل ثمّ شوقٍ ، ثمّ إرادةٍ .

و عـلّةُ الحـركة هـي الإرادةُ الجـزئيّة المـنطبقة عـليها و عـلى المسـافة المـعلولة للتّصوّرات الجزئيّة الحاصلة بـالتّدريج ، أو الطـبيعة بشـرط الحـالات الغـير المـلائمة المتعاقبة بالتّدريج أو القوّة القسريّة المتناقضة قليلاً قليلاً بسبب معاوقة المخروق.

و المرادُ بالمادّية في هذا الموضع كلُّ قابل لما حلّ فيه ، و لذلك حُكِمَ بثبوت العلّة المادّية لكلّ حادث . و بعضُ الحوادث عرضٌ ، و هو جزء للمركّب و مستعدّ للحال ، و الاستعداد يختلف بالقرب و البُعد . و يُقال للمادّة إذاكانت جزءاً «ما مـنه الشـيءُ» و للصّورةِ «ما به الشيءُ» . و لا يجوز تقوّمُ مادّة واحدة بصورتين.

و الصّورةُ هي الطبيعةُ في البسائط ، و الطـبيعة بـمنزلة جـزئيها فـي المـركّبات . والغايةُ علّة بحسب الوجود الذّهنيّ و معلول بحسب الخارج ، و لفعل كلّ قاصد غايةٌ ، و منها العبث و الجزاف . بل الأفعال الطبيعيّة لا تخلو عن غـاية تـنتهى إليـها ، وكـذا الاتفاقيّة . و بينَ العابث و بينَهُما فرقٌ ، و العابثُ غيرُ ثابت لفعل الكامل.

و الأربعة تشترك فـي الانـقسام إلىٰ مـا بـالذّات و العـرض ، و القـريب و البـعيد و المركّب و البسيط ، والكلّيّ و الجزئيّ ، و القوّة و الفعل ، و العموم و الخصوص .

و قيل : إنّ العدم داخلٌ في مبادئ الأمور الطبيعيّة ، فإنّ العدم داخلٌ فـي مـبادئ الجسم المركّب من حيث إنّه حادثٌ ، و لا يصحّ اتّصاف الواحد من حيث إنّـه واحـدٌ بالقبول والفعل.

الفنّ الثّاني

في

المقولات

الموجود بالذّات إمّا جوهرٌ، و هو الموجود لا في موضوع، و إمّا عرضٌ يقابله. و المقولات هي الأجناسُ العاليةُ للموجودات. و هي عشرةٌ: الجوهر، و الكم و الكيف و الأينُ و الوضع و متىٰ و أن يفعل و أن ينفعل و الملك و الإضافة.

إعلم أنّ كليّات الجواهر جواهر، و أنّ الجَوهرَ لا ضدَّ له، و أنّه هو المقصود بالإشارة الحسّيّة و العقليّة و القابل للأضداد؛ و أنّ العرضَ ليس جنساً لما تحتهُ، و لايصحُّ الانتقالُ على الأعراض و الصُّوَر، و يصحّ قيام العرض بالعرض، و يمتنع قيام عرض واحد و صورة واحدة بمحلّين، و لا يصحُّ بقاء الحال مع زوال المحلّ. و قيل: المستغنى عن المحلّ مطلقاً لا يحلُّ فيه، و لا يجوزُ أن يكون شيء واحدٌ بحسب وجود واحد جوهراً و عرضاً.

و الجوهر ينقسم إلى العقل، و النفس، و الهيولىٰ و الصورة، و الجسم. و كلّ جسم مركّبٌ من الهيولىٰ و الصورة، و موضوع العرض من جملة مشخّصاته.

و العرض عرضيٌّ بالقياس إلى ما تحته، و هي المقولات التسعة الباقية:

«الكمُ» و ينقسم إلىٰ متّصل قارّ هو الجسم والسّطح والخطّ، و غير قارّ هو الزمان؛ و إلى منفصل هو العدد. و يشملهما قبول القسمة و المساواة و عد مُهما، و ذلك إمّا بالعدد أو التطبيق بالفعل أو بالقوّة و إمكان وجود أبعاد، و إلىٰ ذاتيّ و عرضيّ، و هو غير قابل للاشتداد والضّعف، و لا ضدّ له. و أنواع المتّصل تكون تعليميّة.

و «الكيفُ» و هو قد يتضادُّ و يشتدُّ و يضعفُ. و أقسامُه أربعةٌ لأنّها إن لم تكن مختصّةٌ بالكميات، فإن كانت محسوسةً فهي الانفعالات إن لم تكن راسخةً، و الانفعاليّات إن كانت [راسخة]. و إن لم تكن محسوسة. فإن كانت استعداداً نحو الإنفعال كاللّين أو نحو اللّا إنفعال كالصّلابة، فهي القوّة و اللّا قوّة، و إن لم تكن

استعداداً فهي الحالُ إن لم تكن راسخةً، و الملكة إن كانت . و فسّروها بالكيفيّات النفسانيّة المختصّة بذوات الأنفس . و إن كانت مختصّة فهي المختصّة بالكميّات.

و المحسوسات : إمّا ملموساتٌ، و هي الحرارة و البُرودة و الرّطوبة و اليبوسة و اللطافة و الكثافة و اللزوجة و الهَشاشة و الجفاف و البلّة و الثقل و الخفّة . و إمّا مبصراتٌ، و أوائلها الضّوء و اللّون ؛ و إمّا مَسموعاتٌ، و هي الأصواتُ و الحُروف و عوارضها، و سببُه الأكثريّ تموّجُ الهواء . و إمّا مَذوقاتٌ، و هي تسعة حاصلة من فعل الثلاثة في مثلها . و إمّا مَشموماتٌ، و لا أسماء لأنواعها .

و الكيفيّات المختصّة بالكميّات، إمّا مختصّةٌ بالكميّات المتّصلة، كالزّوجيّة والفرديّة، و إمّا مختصّة بالمنفصلة، كالاستقامة و الاستدارة و الشكل . و قيل : الزاويةُ منها . و الحقُّ أنها كمٌّ، كما حقّقناه في بعض الرسائل .

و الكيفيّات النّفسانيّة هي مثلُ القدرة و القوّة و الخلق و اللذّة و الصّحّة و الفرح و نظائرها . و منها العلم الحصوليّ . و هو الصّورة الحاصلة عند العقل . و لا اتّحادَ بين العالم و المعلوم و لا بينهما و العقل الفعّال . و العلم، مع أنّه مُساوٍ لماهيّة المعلوم الّتي قد تكون جوهراً، يصحُّ أن يكونَ عرضاً، فإنّه يصحّ أن يكونَ ماهيّةً واحدةً، بحسب وجودين، جوهراً و عرضاً . و العلمُ قد لا يكونُ كيفاً . و هو مطلقاً ينقسمُ إلىٰ فعليّ و انفعاليّ و جوهر و عرض، واجبٌ و ممكنٌ، حُصوليّ و حضوريّ، و ضروريّ و نظريّ . و قد يخصُّ القسم الأوّل بالحُصوليّ الحادث . و التعقّل يستلزم التجرُّد و بالعكس . و العلمُ التامّ بالعلّة يوجبُ العلمَ بالمعمول.

و «الأينُ»، و هو النّسبةُ إلى المكان . و «متىٰ»، و هو النّسبة إلى الزّمان . و «الملكُ»، و هو نسبة التملّك . و أن «يَفعَلَ»، و هو التأثير التدريجيّ . و «أن يَنفَعِلَ»، و هو الحركة، كما مرّ . و«الوضعُ»،نسبةُ أجزاء الجسم،بعضها إلىٰ بعض،ونسبتها بالأُمور الخارجة عنه. و «الإضافةُ»، و هي تُطلقُ بالاشتراك علىٰ نفس الإضافة و علىٰ معروضها و علىٰ المركّب، فهي إمّا حقيقيّ أو مشهوريّ، و يجب فيها التكافؤ، و تعرض للموجودات أجمعَ، و قابلةٌ للأشدّ و الأنقص . و يجبُ الحكمُ باعتباريّة بعض أفراد المقولات . و قيل : داخلتان في الكيف.

الفنُّ الثّالث

في

واجب الوجود وصفاته

اعلم أنّ امتناع الدّور و التّسلسل يدلّ علىٰ وجود واجب موجود غير معلول، و وجوب وجوده علىٰ نفي جميع العلل عنه، و علىٰ نفي الشّريك و المثل و الضدّ و التركيب و الحلول و المحليّة و الاتّحاد و الجهة و المكان.

و معلوليّة كلّ ماهيّة تدلُّ علىٰ أنّه الوجودُ البحتُ المجرّدُ عن الماهيّة. فلا جنسَ له و لا فصلَ، و لا حدَّ و لا برهانَ، بل هو بُرهانٌ علىٰ جميع الأشياء.

و وجوده بذاته أزليّ، أبديّ، لا يمازجه العدمُ و لا يتغيّرُ من حال إلىٰ حال و لا يقبل التجزّي، بل هو مجرّد منزّه عن مخالطة الأجسام، فإنّ تأثير الأجسام و الجسمانيّات بمشاركة الوضع، و الحكمُ بذلك بديهيٌّ مأخوذٌ من التّجارِب.

و إليه أُشير في الكلام الإلهيّ حكايةً عن الخليل، حيث قال: ﴿إنّي لا أُحِبُّ الآفلينَ﴾ فإنّه، علىٰ نبيّنا و عليه السلام، من تكرّر مشاهدة توقّف تأثير الأجسام على الموضع، تحدّس بأنّ مُقيّمَ العالم و مُنوّرَهُ بنور الوجود ليس بجسم و لا جسمانيّ، فقال:

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً مُسلِماً﴾ (الأنعام، ٧٩).

ثمّ لمّا تأمّل في أجسام العالم من السّماوات و الأرض، و علم ما بينَهُما من التّلازُم، و أنّ الأمورَ المتلازمة يجبُ أن يكون بعضها علّةً لبعض آخر أو مستندةً إلىٰ علّة واحدة أو علل متلازمة، كما بيّنا في موضعه، قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

و كان قولهُ تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢) ناظراً إلىٰ ما ذكرناه أيضاً.

لا إلىٰ ما فسّره المتكلّمون و المفسّرون، من «أنّه لو كان فيها آلهةٌ إلّا الله لوقع بينهُم عربدةٌ و نِزاعٌ، فلم ينتظم أحوالُ الأرض و السّماوات» فإنّه يُشبِهُ الخطابيّات أو ما هو أضعفُ منها، و لا يصلحُ تفسيراً لكلام الحكيم العليم.

<الصّفات الثّبوتيّة و الصّفات السّلبيّة>

و الواجبُ واحِدٌ، بمعنىٰ أنّه لا يشاركه في الوجوب غيرُه. و يدلُّ عليه الوجوبُ الذّاتيّ و الإلٰهيّة. و إليه أشير بقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ۱۸)، بمعنىٰ أنّه لا يقبلُ التجزّيَ و الانقسامَ، لا إلى الأجزاء الخارجيّة و الذهنيّة، و لا إلى الماهيّة و الوجود. فهو اللّائق بإطلاق الواحد عليه. و «ليسَ عندَ ربك صَباحٌ و لا مساءٌ».

و هو خيرٌ، محضٌ، حكيمٌ، حيٌّ، عالمٌ، قديرٌ، مريدٌ، جوادٌ، ليس له ما يُوجِبُ فيه كثرةً. و له غايةُ الكمال و غايةُ الجمال و البهاء و نهايةُ العظمة و الكبرياء،

و هو خالِقُ كلّ شيء، و وجودُ جميع الأشياء منه، لا عن قصد، مِثلِ قصدنا، و لا عن طمع من غير أن يكون له معرفةٌ و رضاء، بل عن إرادة و عناية.

فعلمهُ علّةٌ لوجود الأشياء منه، و علمُه ليس بزمانيّ و لا مكانيّ، و هو عالمٌ بجميع الكليّات و الجزئيّات، لا يعزبُ عن علمهِ مثقالُ ذرّة في الأرض و لا في السماوات. فهو سميعٌ بصير.

و لمّا كان جميعُ الأشياء مستندةً إليه، كان قهّاراً ينتزعُ الصّور عن الموادّ الغير المستندة إيّاها، جبّاراً بإفاضة الصّور اللّائقة، و «أوّلُ ما خلق اللهُ العقلُ»، و إلّا لزم استناد الكثير إليه بلا واسطة.

و ذلك يستلزم التركيبَ في ذاته أو قيام صفة به، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً؛ فإنّ الأجسام كلّها مركّبةٌ من الهيولىٰ و الصّورة اللّتان لا يصحُّ استناد شيء منهما إلى الأخرىٰ.

و العرضُ و النّفسُ يفتقر في الوجود و التأثير إلى الجسم، و العقل واجبٌ لغيره ممكنٌ في حدّ ذاته. ففيه كثرةٌ، فيصحُّ أن يكونَ علّةً لأمور كثيرة غير مترتّبة.

الفنّ الرّابع
في
الجواهر الرّوحانيّة

امتناعُ استناد الأجسام بعضها إلىٰ بعض، و وجوبُ تناهى تأثير القُوى الجسمانيّة، و وجوبُ اختلاف معشوقات محرّكات السّماوات المجرّدة عن الموادّ المحرّكة لأجرامها بلا ارادة، يدلّ علىٰ أنّ العقول متكثّرةٌ حسبَ تكثّر الأفلاك و الكواكب و الحركات، و يزيد عليها بواحدٍ مدبّر للعنصريّات. و الحقُّ أنّه لا جزم بكيفيّة الصّدور و الترتيب، و كلّ ما ذكر في الكتب إقناعيّ.

و العقلُ الأخيرُ المدبّرُ للعناصر يُسمّى العقل الفعّال، لكونه مؤثّراً أكثرَ تأثيراً في هذا العالم بمعاونة الفلكيّات. و يلزمُ منه هيولىٰ هذا العالم و صورُ العناصر الأربع المختلفة بحسب استعدادات الهيولىٰ المستفادة من الأجرام السّماويّة بحسب القُرب و البُعد و الأوضاع المختلفة، و يعرضُ لها امتزاجاتٌ بسبب الحركات الجزئيّة، الموجبة لتبدّل الأوضاع، المفيدة للاستعدادات المتنوّعة للهيولىٰ، المقتضية لقبولها صور الكائنات. فعلّة كلّ حادث صورةٌ سابقةٌ و وضعٌ لاحقٌ.

فللموادّ قبولٌ غيرُ مُتناه، و للمبادئ فعلٌ غيرُ متشابه، و يتجدّد الاستعداداتُ بحركات الأفلاك الغير المتناهية و رشحُ الخير الدّائم أزلاً و أبداً.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (ابراهيم: ٣٤).

فانظُر إلىٰ آثار رحمة الله كيف بدأ الوجود من الأشرف فالأشرف، فأبدع

جواهر روحانيّةً لا مكانيّةً و لا زمانيّةً ، صُوَرُها عاريةٌ عن الموادّ ، عاليةٌ عن القوّة و الاستعداد ؛ ثمّ تجلىٰ لها و ألقىٰ فيها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله ، و اخترع عنها بتوسّطها أجساماً ، فنوّرها و صوّرها ، و للشوق إلىٰ جمال بارئها دوّرها ، و جعلها آمنةً من التغيّر و الفساد ، غير قابلة للأضداد ، و جعلها مختلفةً في الحركات المُعِدّة لنشوّ الحيوان و النّبات .

ثمّ خلق هيولىٰ العناصر الّتي هى أخسُّ الموجودات ، و هي نهايةُ بدو الأمر ، فإنّه يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ، ثمّ يعرجُ إليه بالامتزاج بين الموادّ الخسيسة، لتحصل الصّور الشريفة ، الّتي أولّها المعادن، ثمّ النبات، ثمّ الحيوان، ثمّ الإنسان . و عند النّاطقة الكاملة يقفُ ترتيبُ الجود و عندهما يتّصل دائرةُ الوجود .» [مستفاد من خطبة التوحيد لابن سينا كما قال الشّيخ الرّئيس؛ سُبحانَ الملك الجبّار، الإلٰه القّهار، لاتدركه الأبصار ولا تمثّله الأفكار لاجوهر يقبل الأضداد فيتغيّر، ولاعرض فيسبق وجوده الجوهر ، ... ـ ذو قوّة غير متناهية شدّةً، ذاتٌ يفيضُ من عنده كلُّ وجود و يترتبُ عليه الموجودات يترتيب، ترتّب مقدّر محدود. مُبدع هو واجبُ الوجود، يوجبُ وجود ممكن في حدّ نفسه و وجوده و يفيضُ عنه وجود جواهر روحانيّة لازمانيّة و لامكانيّة، صورُها عاريةٌ عن الموادّ، عاليةٌ عن القوّة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، و طالعها فتلألأت، وألقىٰ في هويّاتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله. فكان كلّ واحد بماله من الأوّل وجود ملك. و بما يختصُّ به من ذاته وجود فلك... والغرضُ المقدّمُ فيها خلقةُ الإنسان. وخلقتَ من فضالته سائر الأكوان، خلقتَ الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابه أوائل العلل. إذا اعتدله مزاجه فعدم الأضداد وشاكل بها السّبع الشّداد. فارقت صورتُه القوابل، فشابه العلل الأوائل.]

الفنُّ الخامس

في

العناية وكيفيّة دخول الشرّ في القضاء الإلهيّ ومعنى القضاء والقدر

قد علمتَ أنّ جميع الأشياء صادرةٌ من الله، و هو عالمٌ بصُدورها عنه، و راضٍ بذلك، غير كاره له. و هذا معنىٰ مختاريّة إراديّة. و العلم التامّ بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول. و هو في الأوّل عالمٌ بجميع الموجودات الكلّيّة و الجزئيّة علىٰ ما هو عليه دفعةً واحدةً. و هذا قضاؤه و خروجُها من القوّة إلى الفعل مفصّلاً بحسب إرادتِه و قدرتِه.

وكلُّ ما يصدر عنه فهو إمّا خيرٌ محضٌ أو ما يكون الخيرُ غالباً أو مُساوياً، فإنّ الّذي يكون شرُّهُ غالباً غيرُ موجود البتة. والّذي يكونُ خيرُه غالباً ينبغي أن يكون موجوداً، و إلّا لزم تركُ الخير الكثير لأجل الشرّ القليل، و ذلك شرّ كثيرٌ. فالشرُّ مقضيٌّ موجودٌ بالعرض لا بالذّات. و بالجملة قدرهُ تفصيلُ قضائه، وكلُّ ما يقعُ في هذا العالم مقدّرٌ، بهيئته و زمانه في عالم آخرَ قبلَ زمانه.

فإن اشتبه عليك حالُ الأفعال المنسوباتِ إلى الإختيار، و تُخيّل لك أنّها علىٰ هذا التّقدير يكونُ بالاضطرار؛ فما بالُنا نتصرّفُ فيه بالتّدبير و التّغيير، و نصرّفها بالتّقديم و التّأخير، و نَجِدُ الفرقَ بين المُجبَر عليه و المُجبر و المُختار و المُضطرّ؟ و ماذا يُؤاخذُ بها و يُعاقبُ عليها، أو يُؤجَرُ و يُثابُ بقصدها؟ و ما الفرقُ بينَ سهوها و عمدها، وكيف يتّجهُ المدحُ و الذمّ لنا، و أنّىٰ يتوجّه الأمرُ و النّهيُ إلينا، و أيُّ فائدة للتكليف بالطاعات و دعوة الأنبياء بالمُعجِزات، و أيّ تأثير للسّعى و الجدّ، و ايُّ توجيه للوعيد و الوعد،

و ما معنى الابتلاء في قوله تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ، و ما لا يحصىٰ كثرةً من الآيات الدّالّة علىٰ أنّ مدار التّكليف على الاختيار و بناء الأمر الإحالةُ على الاختيار ، بل يكونُ قاعدةُ التّكليف و التّدبير علىٰ هذا التّقدير عبثاً و هباءً ، و أكثرُ كلام الأكابر هدراً و هواءً .

و استغفر الله العظيمَ و تُب إليه و تأمّل جريانَ الأمر الإلٰهيّ في مَحالّ القضاء و القدر ، و تفكّر في ترتّب سلسلة الأسباب و العِلل.

واعلم أنّ القضاء و القدر إنّما يُوجِبان ما يُوجِبان بتوسّط أسباب و علل مترتّبة منتظمة ، بعضُها مدبّراتٌ و مقدّماتٌ ، كالنفوس السّماويّة و الحركات و الأوضاع الفلكيّة و الصّور اللّاحقة مجرى الأشياء الاتّفاقيّة و غيرها من الإدراكات و الإرادات الإنسانيّة و الحركات و السّكنات الحيوانيّة ، و بعضُها فاعلاتٌ و مقتضيات ، كالمبادئ العالية من الجواهر العقليّة ، و بعضُها قوابلُ و استعداداتٌ ذاتيّة و عارضيّة بها تختصُّ بحال دون حال و صورة دون صورة، ترتُّباً و انتظاماً مُبيّناً معلوماً في القضاء السابق.

فاجتماعُ تمكّن الأسباب و الشرائط مع ارتفاع الموانع علّة تامّةٌ يجب بها وجودُ ذلك الأمر المُدبّر المقضيّ المقدّر ، و عند تخلّف واحد منها و حصول مانع يبقىٰ في حيّز الامكان و الامتناع.

فإذاكان من جُملةِ الأسبابِ و خصوصاً القريبةِ منها وجودُ هذا الشّخص الإنسانيّ أو الحيوانيّ ، و إدراكهُ و علمهُ و قدرتهُ و إرادتهُ و تفكّرهُ أو تخيّلهُ اللذين هُما مختارُ أحد طرفي الفعل و الترك ، كان ذلك الفعلُ اختياريّاً ، واجباً وقوعُه لجميع تلك الأُمور الّذي هو علّة تامّة ، ممكناً بالنّسبة إلىٰ كلّ واحد منها ، فوجوبُ الفعل لا ينافي اختياريّته ، كيف و إنّ الشيء ما لم يَجِب لم يُوجَد.

فإن اشتهيتَ أن نُفصّل لك هذه الجملةَ تفصيلاً ، فاستمع إليه متيقّظاً ، و فرّغ قلبك متفطّناً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق : ٣٧) .

فاعلم أنّ الشيء ما لم يَجِب لم يُوجَد ، و الأفعالُ الاختياريّةُ أوجبت الحصولَ بالاضطرار بعدَ تحقّق الإرادة التّامّة و تصميم العزم ، و أنّ المرادَ بالإرادة هٰهُنا هي العزيمةُ الباعثةُ الجازمةُ على الفعل أو الترك.

فإذا أدركنا شيئاً و علمناهُ ، فإن اعتقدنا ملائمتهُ أو منافرته دفعةً بالتّوهّم أو ببديهة العقل انبعث منه شوقٌ إلىٰ جذبه أو دفعه تتبعه إرادةٌ . فإذا انضمّت إلى القدرة انبعث تلك القوّةُ لتحريك الأعضاء لتحصُلَ الحركةُ أوجبهُ بالأختيار . و إن لم نعتقد ، بالضرورة ، الملائمة و المنافرة استعملنا القوىٰ الدرّاكة لطلب التّرجيح بإرادة عقليّة و وهميّة . فربّما كان ملائماً لبعض الوجوه غير ملائم لبعضها أو ملائماً للحسّ غيرَ ملائم للعقل ، أو بالعكس ، أو ملائماً في العاجِل غيرَ مُلائم في الآجِل ، أو بالعكس.

و يحدثُ بسبب كلّ ملائمة داعٍ ، و بحسب كلّ منافرة صارفٌ ، و يترجّحُ عزمُ أحد طرفَي الفعل و التّرك بحسب ترجيح دواعيه ، و عند تكافؤ الدّواعي يحصل التحيّرُ و يُستعمَلُ القوّةُ الفكريّةُ حتّىٰ سنح ما يُرجّحُ أحدَ طرفين ، فيفعلُ بحسبه.

فإن قلتَ : مع حُصُول القُدرة و الإرادة إن كان التّركُ مُمكِناً لم يكن الفعلُ واجباً ، و إن لم يكن مُمكِناً لم يكن مُختاراً.

قلتُ : التّركُ غيرُ ممكن ، و إلّا يلزم من ذلك نفيُ الاختيار ، فإنّ الفعل الاختياريّ ما يكون الاختيارُ من جُملة أسبابه و يكون صدورهُ موقوفاً بالاختيار ، لا ما يكون مُمكناً علىٰ تقدير تحقّق علّته التامّة الّتي من جملتها الإرادةُ . ففائدةُ التّكليف و الوعد و الوعيد تَحصيلُ شَوق يكونُ مبدأ إرادة الأفعال الجميلة.

ثمّ لا يخفىٰ أنّ جميعَ الممكنات الّتي مِن جُملتها قُوانا و أفعالُنا و إرادتُنا ، مستندةٌ إلىٰ مشيّة الله تعالىٰ و قضائه و قدره ، و أنّ الاسبابَ الظاهرة لأفعالنا إنّما هي قدرتُنا و إرادتُنا .

فمن نظر إليها قاصِراً نظرهُ علىٰ تلك الأسباب القريبة قال بالقدر و التفويض ، أي بكونها واقعةً بقدرتنا مُقدّرةً بتقديرنا مفوّضةً إلينا. و لهذا قال النبيّ ﷺ: «القَدَريّةُ مَجُوسَ هذه الأُمّة» . لأنّها تُثبِتُ مبدأين ،كالمجوس القائلين بيزدانَ و أهرَمَنَ.

و مَن نظر إلى السّبب الأوّل وكونِ تلك الأسبابِ و الوسائط مُستندةً بأسرها على التّرتيب المعلوم في سلسلة العلل و المعلولات إلى الله استناداً واجباً و ترتيباً معلوماً علىٰ وفق القضاء و القدر ، و قطع النّظر عن الأسباب القريبة ، قال بالجبر و خلق الأعمال.

و أمّا مَن نظر حقّ النّظر ، فأضافَ الأفعال إلى الله بنظر التّوحيد و إسقاط الإضافات و محو الأسباب و المُسبّبات ، لا بمعنى خلق الأفعال فينا أو خلق قدرة و إرادة جديدتين عندَ حُصول الفعل عنّا ،كما هو عليه المُجبّرة ، قال باستناد أفعال العباد إلىٰ قدرتهم و إرادتهم المُبتدأتين في سلسلة الأسباب و المسبّبات إلى مُسبَّب الأسباب ، فقد أصاب.

و القائلُ بأنّ أفعال النّاس تابعٌ لقدرتهم و إرادتهم ، وكلُّها فعلُ الله بلا واسطة ، و لا دخلَ لِلجَهد و السّعي مُخطئٌ .

فإن قلتَ : إنّ الله عالِمٌ قبلَ أفعال العِباد بها ، فلا يُمكِنُ أن يصدُرَ عنها خلافُه ، و ذلك يستلزمُ الجبر.

قلتُ : هذا منقوضٌ بأفعاله تعالىٰ ، فإنّه علىٰ رأيكم قبل فعله عالمٌ به، فلا يمكنُ صدورُ خلافه ، فيكونُ في أفعاله مجبوراً ، فكلُّ ماكان في جوابكم فهو جوابُنا .

و الحقّ أن يُجابَ : علمهُ تعالىٰ بكونِ الإرادةِ من جملةِ أسبابه لا ينافي الاختيارَ و لا يستلزم الجبرَ على ما ذكرتُم.

لا يُقالُ: لا فائدةَ في التكاليف الشّرعيّة،لأنّ السّعادة لا تخلو إمّا أن تكون مُقدّرةً أو لم تكن . فعلىٰ تقدير التّقدير تَحصلُ البتة ، و علىٰ تقدير خلافه

لا تَحصلُ البتة ، إذ لا رادّ لقضائه ، و علىٰ كلا التقديرين يكونُ السّعيُ في الأعمال و المَشاقّ عَبَثاً.

لأنّا نقول : المقدّرُ هو حُصولُ السّعادة بعدَ تحصيل أسبابه ، فعدمُ تحصيل الأسباب يدلّ علىٰ عدم تقدير السّعادة .كما أنّ عدمَ آلات التّناسل يدلُّ علىٰ عدم تقدير الولد . و أمّا السّعيُ في التّحصيل فلا يدلُّ علىٰ حُصول السّعادة ، فإنّ العباداتِ ليست عِللاً تامّةً للسّعادات ، بل أسبابٌ ناقصة . فعدمُها يدلّ علىٰ عدمها ، و وجودُها لا يستلزمُ وجودَها.

فظهر أنّ الكلّ بقضاء الله و قدره و حاصلٌ بعنايته و إرادته . و ليس إرادتُه مثلَ إرادتنا في صدور الأفعال عنّا ، فإنّها متغيّرٌ زائدٌ باعثٌ للفعل الحادث بعد التّرجيح ، والله، سبحانه و تعالىٰ، منزّهٌ عن جميع تلك النّقائص .

فإن قلتَ : إذاكان الكلّ بقَضائه و قَدَره ، فلم يُعاقِبُ.

قلتُ : يُعاقِبُ النّفسَ بسبب خارج ، و هي حاملةٌ عذابَها معَها . و الثّوابُ و العقابُ من لوازم الأفعال الواقعة بالقضاء و القَدَر . فإنّ الأغذيةَ الرّديّةَ كما أنّها أسبابٌ للأمراض الجسمانيّة كذلك العقائدُ الفاسدةُ و الأعمالُ الباطلة أسبابٌ للأمراض النّفسانيّة ، و أنّ الله تعالىٰ قادرٌ بمعنىٰ أنّه لو لم يَشأ لم يَفعَل ، لأنّ المشيّة من جُملة علل فِعلِه ، إذ فِعلُه لكماله منزّهٌ عن الاحتياج ، بل لأنّه مِن لوازمهِ ، و رفعُ اللّازم يستلزمُ رفعَ الملزوم.

الفنّ السّادس

في

النفس الإنسانيّ و مراتبها

النفسُ جوهرٌ مجرّدٌ متعلّقٌ بالبدن تَعلّقاً عِشقيّاً، و تبقىٰ بعد قطع التّعلّق عن البدنِ و لا تفسدُ بفساده. و هي متّحدةٌ بالنّوع، و لا يصحُّ تعلّقُ نَفسين ببَدَن، و لانفسٌ ببدَنين. و لها في الاستكمال مِن العقل الهيو لانيّ إلى العقل بالفعل مَرتبة حقّ اليقين الّتي هي آخِرُ مراتبهِ و نهايةُ كماله مراتبُ مختلفةٌ بحَسَبِ الكيفيّة في الأشخاص المختلفة. و لها في تحصيل كمالِها المختصّ بها طريقان: النظر و الرّياضةُ. و الحقّ أنّه لا يحصلُ الكمالُ بكماله إلّا باجتماعِهما.

و لنذكر جُملةً من بيانِ كيفيّة سُلوك الطّريقة الصّحيحة و ما يلزمُها، فنقولُ:

أوّلُ ما يظهرُ للإنسان عندَ العقل هو الشّعورُ، و منه ينبعثُ الشّوقُ و الإرادةُ، ثمّ يحدثُ الحركةُ. فالسالكُ لابدّ له مِنَ الشعور باليقين البرهانيّ، لا بكمال و كامل يُمكِنُ له أن يَنالَ منه شيئاً إمّا بالقصد مع السّكون و الطّمأنينة في النّفس، و إمّا باليقين البُرهانيّ علىٰ سبيل الاستبصار.

فإذا اطمأنّ أحدُهُما انبعث مِن باطنهِ شوقٌ و رَغبةٌ في اعتلاق العُروة الوثقىٰ، و و الإرادةُ، ثمّ يتحرّك سِرُّهُ إلىٰ جناب القُدس لنيل الرّوح و الأُنس، و حينئذ يَحتاجُ إلىٰ إزالة الموانع و تحصيل الشّرائط، و ذلك لا يكون إلّا بالرّياضة.

و الرّياضةُ مَشروطةٌ بأمور و مُتضمّنةٌ لأصول:

أمّا الشّرائطُ: فعزيمةٌ جازمةٌ لا تنتقضُ، لئلّا يتشوّش الوقتُ و يتوجّه التّوجّهُ، و صِدقُها في المواطن كلّها قولاً و فعلاً و فكراً، لئلا تفسد المناماتُ و الإلهامات بمَلكةِ الكذب، و توبةٌ عمّا يَشغلُ سِرّهُ عن الحقّ، و إنابةٌ إلى الله بحيثُ لا يتمكّنُ من الإقبال إلىٰ غير الله، و الإخلاصُ التامُّ و تخليصُ العمل لِلّه بحيثُ لا يُشركُ به أحَداً، و لا يزالُ ظاهِراً ولو بخاطِر، إذ الخطرةُ شِركٌ خفيٌّ، كما أخبر به رسولُ الله ﷺ: «دَبيبُ الشّركِ

في أُمّتي أخفىٰ مِن دَبيبِ النّملةِ السّوداء في اللّيلة الظّلماء على الصّخرة الصّمّاء» .

و أمّا الأصولُ : فهي أمورٌ عدميّة أو وجوديّة . و كلا القسمين إمّا ظاهرٌ أو باطنٌ.

أمّا العدميّاتُ: فيشملُها الزّهدُ الحقيقيُّ ، و هو التنزّهُ عمّا يشغلُ السّرَّ عن الحقّ . و هو في الظّاهر تركُ ما لا يعنيه ، و في الباطن تجريدُ السّرّ عن كلّ خاطر يجرّه و يدعوه إلىٰ غير الله ، و نهايةُ الزّهد التّقوىٰ ، فإنّ خيرَ الزّاد التّقوىٰ.

و له مَراتِبُ : الأوّل تركُ ما لا يعنيه ظاهراً و باطناً. و يلزمه الصّبرُ ؛ ثُمّ الانسلاخُ عن الافعال بقطع النظر عن نسبة الفعل و التّأثير إلىٰ غير الحقّ، و يلزمهُ التوكّلُ ؛ ثُمّ الامتناعُ عن الدّواعي و الإرادات برؤية تعلّق الكائنات كلّها بمشيّته تعالىٰ، و يلزمه الرّضا ؛ ثُمّ الخروجُ عن العلم و القدرة بمشاهدةِ إحاطةِ علم الحقّ بالكلّ و تأثير قدرته في الكلّ، و يلزمه التّسليمُ .

و على الإربع يُحمَلُ قولهُ تعالىٰ :

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة : ٩٣) .

و أمّا الوجوديّاتُ: فأمورٌ تشملُها في الظاهر العبادةُ و في الباطن تلطيفُ السّرّ لقبول الفيض.

أمّا العبادةُ فهي تطويعُ النّفس الأمّارة للنفس المطمئنّة بأوضاع و هياكل شرعيّة ، لتنخرط قُواها في التوجّه إلىٰ جناب الحقّ و لا تُنازعَ لسير السّائر إلى القدس في مطالبها ، بل تُشايعَهُ في مآربها و تنجرّ إلىٰ ما يُناسِبُ الأمرَ المقدّس.

و تلطيفُ السّرّ ، فهو رفعُ الغشاوات الطبيعيّة عن وجه القلب ليقبلَ إشراقاتِ أشعّة الأنوار القدسيّة . و حصولُها بالألحان الموسيقيّة بالأشعار المناسبة للأمور القُدسيّة و المعاني المُوجِبَةِ لإذعان الوهم، و صُحبة الأزكياء و استماع كلامهم و أحاديثهم في الطريقة ، و تبديل الأخلاق ، خصوصاً ما قرن بالنّغمة الرّخيمة و الصّوت الحسن و العبارة البليغة ، و قراءة الوحي الإلٰهيّ و العشق العفيف الرّوحانيّ الّذي يدعوا إليه طلبُ مُشاهدة نُور الحقّ في مرآة شمائل المعشوق.

و أوّلُ ما يبدو لأهل البدايات في رياضاتهم خُلساتُ بروق سريعة الانطواء تلمع

من الأفق النّوريّ فتخمدُ سريعاً ، ثمّ تتواردُ و تتتابعُ فيها أنوارٌ لذيذةٌ تنفعلُ منها الأعضاءُ ، و خاصّةً الدّماغ ، انفعالاتٍ عجيبةً لذيذةً ، و تزيدُ في المحبّة و العشق ، و يلزمُها ذلٌّ و انكسارٌ.

و منها أنوارٌ هائلة في هَيبةٍ و سَطوةٍ ينفعلُ منها البدنُ بالخوف و الانزعاج ، و يتبعها التعزّزُ و الترفّعُ ، و يفيدُ إذعانَ الخلق ،كما أنّ الأوّل يُفيدُ مَحبّته إيّاهُم ، ثمّ تثبتُ و تنقلبُ سكينةً ، ثمّ يُنوّرُ بنور الحقّ فيراهُ في كلّ شيء ، ثمّ يغيبُ عن نفسه ، فلا يَرىٰ إلّا الحقّ و نُورَهُ ، و إن لحظ نفسَهُ فبالنّور في النّور ، للنور إلى النّور ، و إنّه هو المطّلعُ المُحيطُ بسرائر الأُمور.

تنبيهٌ وتذكرةٌ

اعلم أنّ للنفوس القويّة الزّكيّة النّوريّة اتّصالاتٍ بالنّور الأوّل، فيحصل لها بالنّور البارق قوّةُ التّأثير في العالم النّوريّ المثاليّ ، و هيولى العالم العنصريّ ، فتطيعها القوابلُ و يُستجابُ دعاؤها و يَحدُثُ في العالم ما تُريدُ بحسبِ إرادة الله تعالىٰ ، و قد يكونُ اتّصالاتُها سَبباً لتلقّي العلوم منه . و ذلك من أسبابِ إظهار المعارف و الإخبار عن المَغيبات . فإن وجدتْ لوحَ الحِسّ فارغاً عن النّقوش المنقوشة المحسوسة تحدث فيها الصّور المناسبة لما اتّصلت بها و تبقىٰ . فقد يكونُ ذلك في النّوم و قد يكونُ في اليقظة و قد يحتاجُ إلىٰ تأويل و قد لا يحتاجُ.

وكلّ ذلك قد يقعُ من الأولياء كما يقعُ من الأنبياء، إلّا أنّ النّبيّ مأمورٌ من السّماء بالدّعوة و تكميل النّوع دون الوليّ . وكما أنّ الأُمور العجيبةَ تقعُ بالكرامات و المعجزات [كذلك]تقعُ بالسّحر و الطلسم و النّيرنجات ، و لا يخفىٰ الفرقُ بينَهُما على العالِم الفَطِن.

اعلم أنّ في الطبيعةِ عجائبَ و للقوى الفعّالةِ و المنفعلةِ اجتماعاتٍ علىٰ غرائبَ ، فلا يكونُ في بادى الرأي ما قرع سمعك ما لم يبلغ إليه عمُلُك.

إشارةٌ

أعلم أنّ التّعاشُقَ بينَ النّفس و البَدن و تواصلَهُما يقتضى صعودَ هَيئاتٍ بدنيّةٍ إلى

الرّوح و نزول الهيئات الرّوحانيات إلى البدَن . فكما أنّ الفكرَ في المعارِف و الحقائق و استماع ذكر الحبيبِ و مُطالعةِ نور جمالِه و مُشاهدةِ عظمتِه و بهائِه ، يُوجِبُ اقشعرارَ البدَن و وقوفَ أشعاره و اضطرابَ جوارحِه ،كذلك كثيرٌ من الحالات البدنيّة ، لغلبة الأخلاطِ تُوجِبُ كثيراً من الصّفات النّفسانيّة ،كالأخلاق و الملكات التّابعة لها . و عند ذلك يظهرُ سِرّ كثير من التّكاليف الشّرعيّة.

خاتمةٌ مشتملةٌ علىٰ فصلين

الفصل الأوّل

<النّفسُ، لذّاتها و آلامُها>

النّفسُ إن استكملت و أحاطت بجميع الحقائق علىٰ ما هِيَ عليها ، و تَجرّدت عن الهيئآت الرّديّة المادّيّة الظّلمانيّة ، انغمست في عالَم النّور و ارتفعَت الحُجُبُ بينهُ و بينَ المعشوق ، فبقيت عالمةً بها في العالمين ، و هُناك لذّةٌ و نعيمٌ ، و ذلك هو الفوزُ العظيمُ . و إن لم تتجرّد عن الهَيئات مع الإحاطة العِلميّة تتعذّبُ حِيناً ثمّ يرتَفعُ عنها الألمُ و يَحصلُ لها اللذّةُ ، و ذلك بعدَ زوال تلك الهَيئات.

و إن لم تُحِط بالحَقائق والماهيات وتَجرّدت عن الهَيئآت، تَعلّقت ببَعضِ الجُزئيّات و تخيّلت فيه شَيئاً من اللذّاتِ الحِسّيّة و الخياليّة ، إذ ليست مُجرّدةً مِن لذّةٍ مّا بصُحبتهِ ، إلّا إذاكانت شاعرةً بالكمالاتِ العقليّة فاقدةً لها ، فإنّها حينئذٍ تتعذّبُ بفقدانها و يَحصلُ لها حالةٌ مُتوسّطةٌ من امتزاج اللذّةِ الحاصلةِ بالمَلكات والألم الحاصِل لفِقدان الكمالاتِ.

و إن لم تُحِط و لم تتجرّد : فإن كانت غافلةً عنهُما و لم يَحصُل لها الملكاتُ الرّديّةُ ،كالبُله و الصّبيان ، فلها حالةٌ خاليةٌ عن اللذّة و الألم . و قيل : لها لذّةٌ ضعيفةٌ و إن لم تكن غافلةً لو حَصَلَ لها بواسطةِ البدن و التعلّقاتِ بعضُ المَلكات الرّديّة، فلها نِهايةُ الشقاوة ،كما أنّ الأوّل لها نِهايةُ السّعادة.

و اعلم أنّ عدمَ الاعتقادِ أقربُ إلى الخَلاص كثيراً من الاعتِقاد الغير المُطابِق الّذي هو الجهلُ المركّبُ ، و الفطانة البتراء مَنشأهُ.

الفصل الثانيّ

<الوصول إلى العين والصّعود إلىٰ ذروة العيان>

اعلم أيّدك الله، أنّ ما لخصّتهُ مَبلغٌ من العِلم التعليميّ، كافٍ. فإن اشتهيتَ أن تكونَ من الواصلينَ إلى العين دونَ السامعين للأثر، فاقتصِر في التّعلّم عليه و اجتَهِد في الحقّ تَصِل إليه، و اصعَد إلىٰ ذروةِ العيان، و ذُق من كأس الوجدان. و إن كنتَ من أهل التّقدّس لا مِن زُمرة التّهويس، فشمِّر عن ساقِكَ و انزَعَج عن وثاقِك، و انزَع ثوبيك، و اخلَع نعليك، لعلّكَ بالوادِ المقدّس طُوىٰ.

تذكرة وتبصرةٌ وتتميمٌ وتكملةٌ

استَبصِر بآياتِ الله بصَرفِ وَجهِك إلى القُدس، و اعتَبِر بأيّام اللهِ، يَعرِض لقلبك عن الرّمز، لعلّ بارقاً يلمعُ مِن مَطالع النّور، فيهيجُ بك الشّوقُ إلىٰ نيل السّرور.

واعلم أنّ النّورَ مِغناطيسُ القُرب و الأُنس، و الظّلمةَ مِغناطيسُ البُعد و الوَحشة. و أنتَ خيالٌ بينَهُما، كإبرةٍ ضعيفةٍ تجذبك المبادئ العاليةُ بالرّحمة عليك، فطاوِعهم بالمَحبّة و الشّوق؛ و أنّ الأتمّ شَوقاً أتمُّ انجِذاباً و ارتفِاعاً إلى المَصعَدِ الأعلىٰ و تحرُّك البدن و ظُلمات الهيولىٰ الّتي تولّدت منها إليها، لافتقارِها إليك ممّا يفهمُ بالقهر و العزّة، فإنّ الأتمّ حِميةً و عِزّاً أكملُ طهارةً و نزاهةً عن الرّجس الأدنىٰ. و أوفُوا بِعَهدِ الله يُوفِ بِعَهدِكم.

واعلم أنّك نُورٌ مِن لمعاتِ نُور الله، فاجتَهِد في تَنوير سائر الأنوار، فتكونَ نُوراً علىٰ نُور. يهدى اللهُ لنورهِ مَن يشاء. وَ يَضرِبُ اللهَ الأمثالَ لِلنّاسِ.

و لنختِم الرّسالةَ حامِداً لِلهِ الأحَدِ الصّمَد، مُصَلّياً مُسَلّماً علىٰ حَبيبهِ المُسمّىٰ بأحمَد، قائلاً: بنُورِ وجهكَ اللّهُمّ ارزُقنا الهِدايةَ واجنُبنا عَنِ الغباوةِ والغِوايةِ في البِداية و النّهاية.[۱]

---

۱. مأخذ: كتابخانهٔ مجلس شوراى اسلامى، مجموعه، ش ۱۴۲۲. نسخهٔ شماره ۳۸۴ كتابخانهٔ آستان قدس چنين پايان مى‌يابد: «و الحمدُ لله، تم، نقل من مُسوّدة سقيمة و حصل التغييرُ بحسب الوقت و المكان، مع أنّ الكتاب أبىٰ أن يصحّ. و هو من مصنفات السيّد الكامل و اللّوذعيّ الفاضل، السيّد غياث الدين محمّد بن السيّد العالم النحرير السيّد صدر الدّين محمّد الحسيني الشيرازي، شكر اللهُ سعيه، غفر له.»

مصنّفات غياث الدين منصور حسينى دشتكى شيرازى

(۲)

ايمان الإيمان

أو

أُصول العقايد

به اهتمام

عبدالله نورانى

بسم الله الرحمن الرحيم

خيرُ الكلام ما زُيّنَ بجواهر الحمد ودُرَر السّلام. فلك الحمدُ علىٰ ما هديتَنا بأنوار إمام جُعِلَت طوالعُ الكلام من مَطالع منطقهِ كشفاً لمقاصد الأجلّة الأعلام، ومصابيحُ أحاديثه ومشكاتُها مشارقَ شموس الحقائق لدى الأنام، عليه وآله العظام وصحبه الكرام الصّلاةُ والسّلامُ ما تناوب الضّياء والظّلام.

وبعد، فإنّ العبدَ الآنِسَ بمولاه الآيسَ عمّا سواه، الفقيرَ إلى الله الغنيّ، غياثٌ المشهورُ بمنصور الحسينيّ، أحسن اللهُ حالَهُ وأنجح آمالَهُ وكشف بالمعارف بالَهُ، يقولُ: إنّي مُقرّرٌ في كتابي هذا أصولَ العقائد الّتي يجبُ الإقرارُ بها في دين سيّد الأصفياء، غياثِ الورىٰ، لازال ناصرُ شرعهِ منصوراً ولواءُ دينهِ بالنّصر منشوراً، في مقدّمة وأُصول ثمانية.

أمّا المقدّمةُ

فهي أنّ الكلام علمٌ بأُصول يُقتدَرُ بها علىٰ إثبات العقائد الدّينيّة علىٰ خوارج الملّة الحنيفيّة وتبيين كيفيّتها لمن تسلّم إنيّتها.

الأصلُ الأوّلُ

<في العقائد الإسلامية>

اعلم أنّ البصير الخبير المستخبر عن أحوال شخص وأقواله قِديتيقّنُ بأنّه إذا أصرّ علىٰ قول أو فعل(۲) فإنّه لا يعبثُ ولا يُجازِفُ ولا يَكذِبُ.

فمن تحقّق عند جمع يُعتدُّ به ويُعتمدُ عليه اتّصافهُ بهذه الصّفات المرضيّة وسائر الكمالات النّفسانيّة وادّعى النّبوّةَ وأصرّ عليه وأظهر المعجزةَ علىٰ وِفقه كان نَبيّاً حقّاً مُبيّناً للعقائد النّافعة والأخلاق الفاضلة والسّياسات الكاملة المُكمِلة لأفراد نوع الإنسان علىٰ ما يقتضيه القابليّةُ والزّمانُ.

ولقد تحقّق عندنا ولدىٰ مَن قبلَنا ممّن يُعتدُّ به من العقلاء المتأخّرينَ منهم والقدماء ـ بالشّواهد المفضية إلى اليقين والأمارات الخالية عن الظّنّ والتّخمين ـ نُبُوّةُ كلّ من أوجب اللهُ، تعالىٰ، الإيمانَ به، ومِن الأنبياء، سيّما سيّدهم، نبيّنا، محمّد المصطفىٰ، عليه وعليهم من الصّلوات أفضلُها ومن التّحيّات أتمُّها وأكملُها.

والعقائدُ الّتي يجبُ الأقرارُ بها في كلّ دين هي: أنّ الله، تعالىٰ، موجودٌ واحدٌ حيٌّ، لا قديمَ سِواه، عالمٌ بذاته وبكلّ ما عداه، مريدٌ، قديرٌ، سميعٌ، بصيرٌ، بريءٌ عن زعم أرباب الإلحاد من الحلول والاتّحاد، منزّهٌ عن التّغيّر والانتقال والحدوث والزّوال.

ومن خلائقه الّتي لاتُعَدُّ ولا تُحصىٰ الملائكةُ والنّاسُ ومنهما الرّسلُ والأنبياءُ، خصّهُم بمزيد الإنعام والإكرام وأعطاهم الحكمةَ والكلامَ، قدّر لهُم ولكلّ ما قدر عليه مقتضىٰ حكمته(۳) وإرادته من الخير والشّرّ والنّفع والضّرّ، وكلّ ما اقتضاه رضاؤه فهي خيرٌ محضٌ ولا شرَّ إلّا بالعرض. ويجبُ التّصديقُ بكلّ ما جاء به النّبيّون. وهذا حقيقةُ الإيمان.

فالإيمانُ بنبيّنا محمّدﷺ هو التّصديقُ بكلّ ما علم مجيئهُ به ضرورةً من دينه.

والمشهورُ عند الجمهور أنّه يشتملُ عليه ستّةُ إقرار، هي الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه . ولا يخفىٰ أنّ هذا إجمالٌ، وما أجملناه تفصيلهُ ، وإن ألقيتَ السّمعَ وجدتَ فيما يتلوه مزيدَهُ .

وإقامةُ الشّعائر الخمسة من الكلمتين والصّلاة والصّوم والحجّ إسلامٌ، وعدمُ الإيمان كفرٌ، والكفّارُ هم خوارجُ الملّة

وخالفنا فيما فصّلناه في كلّ منها بعضٌ. فالمعطّلةُ نازعتنا في الأوّل ، والثّنويّةُ في الثّاني ، والحشويّة في الحلول والاتّحاد والتّغيّر والانتقال ، والمتفلسفةُ كلّا أو بعضاً في العلم والقدرة والإرادة وقِدم العالم، وقد يئوّل بعضهُم بعضاً ، والصّائبةُ في إمكان النّبوّة ، وسائرُ الحُنَفاء وهم المجوسُ واليهودُ والنّصارىٰ ومن يحذو حذوهم ممّن آمن بنبيّ من الأنبياء سوىٰ نبيّنا محمّد ، صلى الله عليه وآله صلاةً تليقُ بكماله، في نبوّته، والدّهريّةُ وبعضُ المتفلسفة في المعاد الجسمانيّ .

الأصل الثاني

في نقل عقائد العلماء في صفات الله تعالىٰ

اعلم أنّ الحكماء تأمّلوا ناظرين في الوجود(٤) نفسه، فدلّهم الدّليلُ علىٰ وجود مبدأ واجب لذاته. ثم استدلّوا من وجوبه علىٰ سائر صفاته ممّا عُلِمَ استلزامُ الوجوب له، وهي السّرمديّة والوحدة والحياة والتجرّد والعلم بوجه كلّيّ غير متغيّر ولا مستلزم جزئيّةً والإيجابُ فعلاً ووجوبُ كون المعلول الأوّل عقلاً ودوامُ الفيض المستلزم لقِدم العالم والتّنزّهُ عن الصّفات الزّائدة والجهة والمكان والزّمان والوضع والحلول والاتّحاد وحلول الحوادث فيه والتغيّر والانتقال والشّريك والمثل والضّدّ والتّركيب لمعانيه والتّحيّز والحاجة واللذّة المزاجيّة والألم والرّؤية والتكلّم .

وأمّا المتكلّمون ، فلمّا كان استدلالهُم من المخلوق والمصنوع على الصّانع أثبتوا إلٰهاً صانعاً قديماً مُحدِثا لكلّ ما عداه، متّصفاً بجميع لوازم الألوهيّة الكاملة بحسب عقائدهم المختلفة .

فالمعتزلةُ والشّيعةُ قالا: هى من الثّبوتيّات: العلمُ التامّ المحيط بجميع الكائنات الكليّة والجزئيّة والقدرةُ الشّاملة والإرادةُ الكاملة والبقاء أزلاً وأبداً، والحياةُ والسّمعُ والبصرُ والكلامُ؛ ومن السّلبيّات: الشّركةُ والمماثلة والمضادّة والمشابهة والصّورة والجوهريّة والعرضيّة والحلول والاتّحاد والتّركيب والتعدّد والتجسّم والتّحيّز والتّجدّد والتّبعّض والتّجزّي والتّقابل والتّكيّف(۵) والتّمكّن والتزّمن؛ واستحالوا الصّفات الزّائدة والكلام النّفسيّ والرّؤية.

ثمّ في كيفيّة العينيّة بين هؤلاء والحكماء تخالفاتٌ، فإنّهُم مع تخالفهم يخالفونهم ولا يوافقونهم في شيء، ولهم في عدم الزّوائد زوائدُ شتّىٰ.

والصّفاتيّةُ، وهم الأشاعرة، وافقوهُم في عدّ الصّفات، إلّا أنّهُم أثبتوا الثّبوتيّات زائدة قائمة بالّذات، وظنّوا تغاير اليد والوجه والقدم والبقاء والقِدم والكرم والرّحمة والرّضا والاستواء والعين والجَنب والإصبع واليمين والكفّ وزيادتها ومُغايرتها للصّفات الثّمانية الّتي هي العلمُ والقدرة والحياة والإرادة والسّمع والبصر والكلام والتّكوين، وأثبتوا كلاماً نفسانيّاً مغايراً لما تقدّم، وجوّزوا الرّؤيةَ.

وحيثُ يردُ عليهم: بأنّ زيادةَ الصفات تستلزمُ تعدّدَ القدماء، وقد اعترفتُم باستحالة هذا، أجابوا قائلين: هى لا هو ولا غيرُه. ولمّا لم يُبيّن لهذا الكلام مفهومٌ محصّلٌ وجّهوه بما لا يليقُ إيرادُه. هٰهنا.

ثمّ المتكلّمون ناقضوا الحكماء في نفيهم علمَ الإلٰه بالجزئيّات، وقولِهِم بالإيجاب المستلزم لنفى القِدم والإرادة وظنِّهم انحصار معلوله الأوّل في العقل، وتقريرِهم دوامَ الفيض المستلزم لقِدم العالم.

والحقُّ: أنّ الإيرادَ الأوّل مردودٌ غيرُ وارد عليهم، ومن كفّرهُم ما عرف مقصدَهُم، فإنّه قد ثبت ووضح اعترافهُم بإحاطة علمه التامّ بجميع الحقائق الخارجيّة والذّهنيّة الكليّة والجزئيّة بحيثُ لا يغيبُ عنه أبداً شيء من الثّابتات الباقيات(۶) والكائنات الفاسدات، ولا يعزبُ عن علمهِ مثقالُ ذرّة في الأرض ولا في السّماوات.

واعتُذِرَ عن الثّاني : بأنّ الإيجابَ لا ينافي تحقّق القدرة والإرادة، فإنّ القادر هو الّذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل . وغايةُ ما لزم من الإيجاب وجوبُ تحقّق مقدّم الأولىٰ وامتناعُ وقوع مقدّم الثّانية في ما أوحب وبالعكس في ما لم يُوجِبه، وشيءٌ منهما لا يمنعُ صدق الشّرط، وإرادتُه علمُه وعنايتُه .

وأمّا الثّالثُ، فلا يخفىٰ ما في مغزاه وانحلال زمام الكلام في مؤدّاه، وأمّا الرّابعُ فسيأتي بطلانُ ما هو الظاهرُ من فحواه وبيانُ أنّه لا قديمِ سِواه .

الأصلُ الثالث

<الموجودُ الواجبُ تعالىٰ شأنه والممكن المنقسم إلىٰ الجوهر والعرض>

الموجودُ إن وجب وجودهُ من غير علّة فهو الواجبُ، وإن لم يجب إلّا بعلّة فهو الممكنُ المنقسمُ إلى الجوهرِ المفسّر بالموجود لافي موضوع، والعرضِ المشتمل على المفولات التّسعة الّتي هي الكم والإضافة والأين ومتىٰ والمِلك والوضع وأن يفعل وأن ينفعل والكيف، وقد يُعَدُّ الجوهرُ مقولةً أُخرىٰ، فتصيرُ عشرةً كاملةً .

وبيّن أنّ الممكنَ لايوجَدُ بلا مُوجِد ، ولا يُوجِدُ ما لم يَوجَد أوّلاً، ضرورةَ أنّ المعدومَ لايُوجِدُ شيئاً أصلاً، فلو انحصر الموجودُ في الممكن لم يوجد شيءٌ أبداً، فإنّ الممكنَ وإن كان متعدّداً لايستقلّ بالوجود والإيجاد، وإذ لا وجودَ ولا إيجادَ فلا موجودَ ، لا بذاته ولا بغيره(٧). فوجودُ أيّ موجود كان يدلّ علىٰ وجوده ووجوبه الدّالّ علىٰ وحدته .

ففي كلّ شيء له آيةٌ   تَدُلُّ علىٰ أنّهُ واحِدٌ

ولا يخفىٰ علىٰ من له بصيرةٌ صحيحةٌ بل بصرٌ سليمٌ، وجودُ بعض الأشياء . وقالت السّوفسطائيّةُ، إنّ الأشياء كلّها أوهام وخيالات لا حقيقة لها، ولقد اعترف جميعُ العقلاء والحكماء والأدباء والفضلاء بوجوده تعالىٰ، وما خالف في ذلك واحدٌ من أرباب الأديان والملل والأهواء والنّحل .

ولم يُرَ، في الاسلام والجاهليّة في بسيط الأرض ، من مطلع الشّمس إلىٰ مغربها ، من اليمن والهند والحبشة والزّنج والبربر والعرب والإفرنج والعجم والتّرك والفُرس والرّوم والصّقلاب واليونان، من يُنكِرُ ذلك إلّا هٰؤلاء الشّرذمةُ السّوفسطائيّةُ والمُعطّلةُ القليلون .

وإذا طلع عليك صباحُ الإيضاح والإيقان من مطلع البرهان اطّلعتَ علىٰ ما بهم في مراقد الغفلة والجهالات من أضغاث الأحلام وتسويلات شياطين الخيالات والأوهام .

ثمّ الّذي بلغ إلىّ ووضح لدىّ من مقالات أهل العالم الّذي أشير [فيها] إجمالاً إلىٰ أسامي عظام الأُمَم أنّهُم كلّهُم اعترفوا بوجوده الإلٰهِ . إلّا أنّ كلاً منهُم استدلّ عليه بوجهٍ يليقُ به وناسب مُدركَهُ واعتقدَ فيه ما حَسِبَهُ كمالاً ونفىٰ عنه ما ظنّهُ نقصاً .

فالحكماء ، لِما تقرّر لديهم ، من أنّ زيادة الصّفات والعلم(٨) بالجزئيّات وعليّة الكثرات والحادثات يستلزمُ تركيباً ونقصاً قدّسوهُ عن جميع ذلك ، والصّفاتيّةُ لمّا اعتقدوا أنّ الكمال هو الاتّصافُ بالصّفات وصفوه بما حسبوه كمالاً، وحَسُنَ ظنّهُم فيه .

ولمّا كانت الكماليّةُ ، بحسبِ اعتقادهم في الثّمانية المشهورة الّتي هي العلمُ والقدرة والإرادة والحياة والسّمع والبصر والكلام والتّكوين الّذي أدرجوا فيه التّخليق والتّرزيق أزيد ، بالغوا في زيادة تلك الصّفات زيادةَ مبالغة .

والمُجسّمةُ لمّا تخيّلوا الكمال في الجسميّة جسّموه . وقس عليه سائرَ الفِرَقِ .

فقد ثبت باعتراف الفِرَق كلّها وجودُ إلٰهٍ واجبٍ ، له كُلّ كمال، مُحالٌ عليه كُلُّ نُقصان . ولا حاجةَ بنا إلىٰ إقامة البرهان علىٰ هذا، فإنّ الغرضَ من الكلام إلزامُ المُعاندين في عقائد الدّين، والكلُّ معترفٌ بهذا الأصل، فهو من المشهورات والمسلّمات الّتي تصلحُ للإلزام والإفحام .

الأصلُ الرّابع

فى إثبات صفاته العظمىٰ والإشارة إلىٰ أسمائه الحُسنىٰ

فلكلِّ مُمكنٍ مُحدِثٌ يُحدِثُهُ وعِلّةٌ تُوجِدُهُ، ولا يجوزُ ترتّبُ العلل والأسباب إلىٰ غير النّهاية، لِما مرّ آنِفاً ولِما قرّر في موضعِهِ، فظهر وجوبُ استناد كلّ ممكن أوّلاً وآخراً، بل كلّ الممكنات إلى الواجب .

فهو إلٰهٌ قادرٌ ، وقيل: مريدٌ وإلّا لكان أثرُهُ قديماً ، عالِمٌ (٩) وإلّا لم يكن قادراً مريداً فعلَهُ مُتقَناً ، حيٌّ وإلّا لم يتّصف بها .

وعلمهُ كقدرتهِ وإرادتهِ تامٌّ شاملٌ وإلّا لم يكن إلٰهاً كاملاً . ولا شريكَ لهُ وإلّا لا تنقضَ ألوهيّتُهُ ولزم مكانه وجسميّتُه . وهو ليس بجسم ولا جسمانيّ، إذ كلٌّ منهما ممكنٌ، ولا شيء من الواجب بممكن ، وكلُّ متحيّز جسمٌ أو جسمانيّ، فلا شيء من الواجب بمتحيّز، فلا حيّزَ له ولا وضعَ له ولا محلّ، فهو مجرّدٌ يستندُ كلُّ مُمكن إليه، فهو عالم حكيم جواد كريم ، واتّحادُهُ مع غيره بديهيُّ البطلان .

وسائرُ المُمكنات ولوازمها مسلوبةٌ عنه معلولةٌ له ، فلهُ سُلوبٌ متعدّدةٌ وإضافاتٌ متكثّرةٌ ، باعتبارها مفردةً ومخلوطةً يحصلُ أسماءٌ عديدة كثيرة .

ثمّ عموميّةُ القدرة كما أشير إليه يُوجِبُ إحاطةَ علمهِ بالكلّ ويُثبِتُ السّمعَ والبصرَ ، والكلامَ وقد قسّم إلى النّفسانيّ وغيره ، وفيه كلامٌ . وغِناً عن الغير يُوجِبُ بساطتَهُ، وهو مع امتناع تعدّد القدماء مطلقاً، ذواتٍ كانت أو صفاتٍ، يعنى الصّفات الثّبوتيّة الزائدة . هذا ما ينتهى إليه ظاهرُ نظر العقل. ولِمثبتي الزّيادةِ دلائلُ، ومن ظواهر النّصوص تأييداتٌ للكلام من الجانبين مُجازٌ ، والحَقُّ ماحقّقه الشّريعةالحقّة .

وليُعلَم أنّ صفاتِ الله، تعالىٰ، كما تُسبتنبطُ من العقل تُستفادُ من الشّرع وقولِ صاحبِ النّاموس [وصاحبهُ محمّدٌ صلعم]. وذلك، كما أشرنا إليه، لا يستلزمُ (١٠) دوراً، كما توهّم، أما ترىٰ [أنّ] كلامَ الله مملوٌّ بها .

الأصلُ الخامسْ

<الحُسنُ والقبحُ في الأفعال>

الفعلُ إمّا حسنٌ أو قبيحٌ. والحاكمُ هو العقلُ الصّحيحُ إمّا لخُلق أو مَلكة أو طبيعة أو عادة أو مقدّمات مستفادة، من عُرفٍ او شرع. وفعلُه، تعالىٰ، لا يتصفُ بالقبيح أبداً، لكمالِ قدرته وشمولِ علمه ووفورِ قوّته. ولا يجبُ شيءٌ عليه، بل الكلّ واجبٌ منه. والضّرورةُ قاضيةٌ باستنادِ أفعالنا إلينا. ولا يلزمُ من ذلك عدمُ تأثير قدرته، تعالىٰ، فيها، بل كلُّ قدرة مستغرفةٌ في قدرته الّتى لا يأبىٰ عنه شيءٌ من المقدورات. ووجوبُ حصولها بعدَ كمال العزم لاينافي الاختيار أصلاً، ولا يستلزمُ الإجبارَ مطلقاً، ولا يمنعُ التّكليفَ قطعاً. ولا يكلّفُ اللهُ، تعالىٰ، نَفساً إلّا وُسعَها.

وفعلُ المكلّف منقسمٌ إلى الحَسَن والقبيح، يقسمان الأحكامَ الخمسةَ[1].

ثمّ الأشاعرةُ جعلوا الحاكمَ بالحَسَن والقبيح هو الشّرعَ، وأسندوا جميعَ الأفعال إلى الله، تعالى، قائلين هو الخالق لأفعال العباد، من الكفر والإيمان والطّاعة والعصيان.

ولمّا رُدَّ عليهم باستلزام ذلك لكون العبد مجبوراً، وقد اعترفتم بخلافه، للضّرورة القاضية بالتفرقة بين حركة المختار والمضطر، قالوا: الحقُّ خالقٌ والعبدُ كاسبٌ. والأفعالُ الاختياريّة الّتي للعبد هى الّتى كَسَبَها، وهو لا يكونُ فاعلاً أصلاً. فما يُوجَدُ، من الألمِ في المضروبِ عقيبَ ضربِ إنسان، والانكسارِ في الزُّجّاج عقيبَ كسره، مَخلوقٌ لله، تعالى.

وترتّبُ الشّبَع على الأكل والوصول على الحركة ليس لعليّتهما لهما، بل ممّا

---

۱. وهى الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحصور.

فعل اللهُ، تعالىٰ، حصل عقيبها علىٰ طريق جري العادة ، (١١) فإنّ عادةَ الله جرت علىٰ ترتّب الشّبع على الأكل، وله أن يُخالِفَ عادته . وإرادةُ الله، تعالىٰ، ومشيّتُه وتقديرُهُ تتعلّقُ بكلّ فعل، حسناً كان أو قبيحاً. لكنّ الرّضا والأمرَ والمحبّةَ لا تتعلّقُ إلّا بالحَسَن ولا تتعلقُ بالقبيح أصلاً.

وأمّا المعتزلةُ، فاختاروا أنّ أفعالَ العباد اختياريّةٌ صادرةٌ عنهم لقدرتهم وإرادتهم، والحُسنَ والقُبحَ عقليّان، والجبرَ باطلٌ. وإليه مال شِرذمةٌ من الأشاعرة وجمعٌ من الفلاسفة.

والكسبُ الّذي ارتضاه جمهورُ الأشاعرة غيرُ معقول ولا مقبول. ويجبُ على الله تعالىٰ، رعايةُ الأصلح واللّطف، وهو ما يُقرّبُ العبدَ إلى الطاعة ويُبعّدُهُ عن المعصية، والوفاءُ بالوعد وقيل بالوعيد أيضاً وأمورٌ أُخَرٌ كالتّكليف وانتصافِ المظلوم من الظّالم، إلىٰ غير ذلك، من الأمور المشهورة المذكورة في كتبهم، خلافاً للأشاعرة .

والحكماء حكموا بإيجابِ أفعاله تعالىٰ، مع خُلوّها عن الغرض واقترانها بالحكمة والمصلحة، وأوّلوا الإرادةَ بالعناية الرّاجعة إلى العلم ؛

والمتكلّمون تكلّموا علىٰ ذلك وذهبوا إلىٰ أنّها إراديّة واختياريّة مطلقاً، إلّا أنّ الاشاعرةَ منهم استحالوا الغرضَ ؛ والمعتزلةُ والشيعةُ أثبتوها قائلين: نفيُ الغرض يستلزمُ العبثَ. وفي فعل العبدِ أيضاً ثلاثةُ مذاهب: الإيجابُ والإجبارُ وهو مذهب الحكماء، والإرادةُ والاختيارُ وهو مختارُ المعتزلة والشّيعة، والكسبُ وإليه مالت الأشاعرةُ .

وليُعلَم أنّ أجلَ كلّ حيوان هو المدّةُ المقدّرةُ لحياته ولا يتعدّاه. وقيل: لو لم يُقتَل المقتولُ لمات، (١٢) وقيل: لعاش، وقيل لقُتِلَ، والرّزقُ ما يصحُّ الانتفاعُ به، ولم يكن لأحد منعُه. واختُلِفَ في كون الحرام رزقاً، فأثبتهُ الأشاعرةُ، ونفاه من عداهم، والسّعيُ في تحصيله قد يجبُ وقد يُستحسنُ وقد يُباحُ وقد يَحرُمُ، بل يتعلقُ به الأحكام الخمسة .

تكملةٌ

<الارادة والاختيار>

عرّف القادرُ: بأنّه الّذي يصحّ منه أن يفعل. وإذا فعل فعل باختيار وإرادة لداع يدعوه. ويقابله المُوجَبُ، وهو الّذي يجب أن يصدر عنه الفعل، ويجب أن يقارنه فعلٌ. والمتكلمون يقولون: إنّ البارى، تعالىٰ، قادرٌ، إذ فعله حادثٌ غيرُ صادر عنه في الأزل، والحدوث يستلزم القدرة، والمقدم الإيجاب.

وذهب الحكماء إلىٰ أنّ كلّ فاعل بإرادة مختارٌ، سواء قارنه الفعل في زمانه أو تأخّر عنه. وموضع الخلاف في الدّاعى، فإنّ المتكلمين يقولون: إنّه لا يدعو إلّا إلىٰ معدوم يصدر عن الفاعل وجوده بعد الدّاعى بالزّمان أو تقدير الزّمان، ويدّعون بداهة هذا الحكم. والحكماء ينكرونه.

ثمّ المتكلمون اختلفوا في وجوب الفعل بعد حصول الدّاعى للقادر. فالمحقّقون منهم قالوا بالوجوب ويقولون: إنّ هذا الوجوب لا يقتضى إيجاب فاعله إذاكان فعله تابعاً لداعيه ولا معنى للإختيار إلّا هذا.

وممّا ينبغي أن يعلم أنّه لا خلافَ بين المسلمين في ذمّ القدريّة، إلّا أنّ الأشاعرة زعموا أنّهم هم المعتزلة القائلون بنفى كون الخير والشرّ بتقديره ومشيّته. سمّوا بذلك لِمبالغتهم في النفي، وقيل: لإثباتهم للعبد قدرةً. والمعتزلة قالوا: (١٣) بل هم الأشاعرة القائلون بأنّ الخير والشرّ كلّه بتقدير الله ومشيّته، النافون لقدرة العبد، المستندون جميع الأفعال إليه، فلا دخل للعبد.

تكملةٌ

<فعل الله، تعالىٰ، إبداعٌ وتكوينٌ>

فعل الله، تعالىٰ، إبداعٌ إن لم يكن مسبوقاً بمادّة وتكوينٌ إن كان مسبوقاً بها. وربّما أطلقهما الحكماء، علىٰ ما أشرنا إليه.

الأصل السّادس

<كيفيّة خلق السّماوات والأرض>

قد تبيّن بما تقدّر أنّ الإلٰه، تعالى، واحدٌ واجبٌ لذاته، وسائر الموجودات ممكنةٌ حادثةٌ مستندةٌ إليه صادرة منه. وليس صُدورها عنه دفعةً واحدةً، علىٰ ما توهّم بعض القاصرين من المعاصرين، بل الله، سبحانه وتعالىٰ، بعدما أبدع ما اقتضاه حكمته وقدرته فخلق السّماوات والأرض، ثمّ دبّر الأمر منها إليها. وهُما أوّل المكوّنات .

وللعلماء في كيفيّة خلقهما اختلافٌ. فمنهم من ذهب إلىٰ تقدّم السّماء، ناظراً إلىٰ قوله، تعالىٰ، «أأنتم أشدّ خلقاً أم السّماء» الآية، ومنهم من حكم بتقدّم الأرض متمسّكاً بقوله، تعالىٰ، ﴿وهو الّذي جعل لكم ما في الأرض جميعاً ثمّ استوىٰ إلى السّماء﴾ الآية .

والإمام الرازيّ والواحديّ وكثير من المفسّرين اختياروا المذهب الأوّل، وصاحب الكشّاف وبعض آخر اختاروا الثّاني وقرّروا تقدّم الأرض،

ولمّا ردّ عليهم أنّ قولكم هذا لا يلائم ظاهر قوله، تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾. أجابوا بأنّ جرم الأرض مقدّم على السّماء. وتدحيتها بمعنى بسطها متأخراً عنها. وأورد علىٰ ذلك إيراداتٌ، وقد قام بين الفريقين (١٤) مشاجرات ومباحثاتٌ .

والحقّ: أنّ الحقّ ما حققّته في مظانّه، ثمّ بعد إبداع السّماوات والأرض وما بينهما من البسائط خلق المركّبات. وهي تامٌّ إن كان له صورة متبوعة حافظة لتركيبه وناقصٌ إن لم تكن له تلك. والمركّب النّاقص إمّا بخارٌ أو دخانٌ، ويحدث منهما، على زعم الحكماء، كائناتٌ الجوّ والأرض من السّحاب والمطر والصّقيع والطّلّ والرّعد والبرق والثّلج والرّيح والزّلزلة والخسف وانفجار العيون ونظائرها، و يحدث منها كثير من المركّبات التّامّة. والمركّب التّامّ إمّا تامٌّ أو غير تامّ، وكلّ منهما إمّا أن يكون له شعورٌ وإرادةٌ أولا. الأوّل الحيوان، الثّاني النّبات، الثالث الملك، الرابع المعدن.

وأصناف هذه الأربعة كثيرة. والمشهور عند الجمهور أنّ الإنس والجنّ من أصناف الحيوان. والشّيطان مادّة الخلاف فقيل: من الملك، وقيل من الجنّ، وقيل: نوع آخر من الحيوان، وكذا الغول إن وجد، علىٰ ما توهّم. والحقّ أنّ كلّ مُبعَد عن الحقّ شيطانٌ، جنّاً كان أو إنساً أو حيواناً آخر أو غير ذلك. فأمعن النّظر واعرف هذا.

ثمّ اعلم أنّ الملك والإنسان والجنّ والشّيطان، لما فيهم من قوّة التّمييز صاروا مكلّفين. والمشهور عند الجمهور أنّ الشّياطين كثيرةٌ، وأنّ إبليس الرّجيم، علىٰ ما نطق به القرآن، أوّلهم وأبوهم وشيخهم نسباً ونسبةً. (۱۵) ومن الحكماء من أنكر وجود هؤلاء الثلاثة، ومنهم من أقرّبها وقررّها، فجعل مقرّها العالم المثاليّ الّذي به تحقّق حشر الأجساد وسائر مواعيد النّبوّة على زعمهم. ومنهم من أوّلها بما ناسب وهمه ووافق فهمه.

وعلماء الملّة، بعد الاتّفاق علىٰ وجودها، اختلفوا في كيفيّتها. ولا ضير في توضيح ذلك وتوشيح الرّسالة بالإشارة إلىٰ ما هو الظّاهر من رأى أولئك، فنقول:

دلّ ظاهر الكتاب والسّنّة وقول أكثر الأمّة علىٰ أنّ الملائكة أجسامٌ لطيفةٌ نورانيّةٌ قابلةٌ للتشكّل بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشّاقّة، شأنها الطّاعات ومكانها السّماوات، هم رسل من الله إلى الأنبياء وأمناؤه، **يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.** ولا يتّصفون بالذّكورة والأنوثة.

والجنّ أجسامٌ هوائيّة تتشكّل بأشكال مختلفة ويظهر فيهم أفعال عجيبة، منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى.

والشّياطين أجسامٌ ناريّة شأنها إلقاء النّاس في الفساد بتذكّر أسباب المعاصى وإنساء منافع الطّاعات. وقيل: تركيب الأنواع الثّلاثة من العناصر الأربعة. والغالب على الأوّلين الهواء وعلى الثّالث النّار. والمختار أنّ الجنّ أيضاً من النّار، والجنّ والشياطين يدخلون المنافذ الضّيّقة ولا تكون محسوسة بحسّ البصر إلّا إذا لبس جلابيب من الممتزجات الّتي تغلب عليه الأرضيّة والمائيّة، كأبدان بعض الحيوانات.

والملائكة كثيراً مّا تعاون النّاس علىٰ ما يعجز عنه (١٦) بنو جنسه، كالغلبة على الأعداء والطّيران في السّماء والمشى على الماء. والجنّ والشّياطين يخالطون كثيراً من الأدناس ويعاونون بعض النّاس على السّحر والطّلمسات والنّير نجات .

وبالجملة،القول بوجود الملائكة والجنّ والشّياطين ممّا انعقد عليه إجماع الآراء ونطق به كلام الله وكلام الأنبياء. وحكى مشاهدتها من كثير من العقلاء وارباب المكاشفات من الأولياء. فلا وجه لنفيها، كما لا سبيل إلىٰ إثباتها بالأدلّة العقليّة .

وأمّا الإنسان فإنيّته بيّنة غنيّة عن البيان، والمشهور عند الجمهور: أنّ أوّل من خلق الله من هذا النّوع أبونا آدم، فخلق منه زوجته حوّاء ثمّ تولّد منهما سائر النّاس. وقد يروىٰ خلافُ هذا، فإنّه روى بعض العلماء عن سيّد الأنبياء، أنّه قال: «إنّ الله، تعالى، خلق آدم قبل آدم واصطفىٰ من بينهم آدم أبونا». وروي عن محمّد بن على الباقر، على آبائه الكرام وعليه التحيّة والسّلام: أنّه قد انقضى قبل آدم الّذي هو أبونا ألف ألف أدم أو أكثر . والّذي دلّ عليه الآثار وأخبار الأخيار أنّه لمّا خلق السّماوات والأرض وخلق الملائكة أهبط منهم ملأ في الأرض يسمّون بالجنّ، ومنهم إبليس، فقال لهم: ﴿إنّي خالقٌ بشراً من طين، و ﴿ جاعلٌ في الأرض خليفةً﴾ .

وعن ابن عبّاس: إنّ الله تعالىٰ لمّا أسكن الجنّ الأرض، فأفسدوا فيها سهك الدّماء وقتل بعضهم بعضاً ، بعث الله (١٧) إبليسَ في جند من الملائكة ، فأخرجهم من الأرض وألحقهمُ بجزائر البحر وقال لهم: إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً، تخلفكم، والسّابقين عليكم. فاستبعدوا ذلك، قائلين: أتجعلُ فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء مكاننا ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، فقال: إنّي أعلم مكاننا تعلمون. من المصالح والفوائد، في خلقه واستخلافه. فخلق آدم من صلصال كالفخّار. وعلّمه الأسماء كلّها. فأمر المذكورين من الملائكة بأن يعظّموه ويسجدوه سجدةَ تعظيم، علىٰ ما هو دأبُ قوم، فسجدوا كلّهم إلّا إبليس، أبىٰ واستكبر فلعن وطرد علىٰ ما نطق به التّنزيل. وهذا كلّه صحيحٌ بظاهره من غير حاجة إلىٰ تأويل وإنّه يحقّ الحقّ ويهدى إلىٰ سواء السّبيل.

الأصل السّابع

في النّبوّة

النّبيّ إنسانٌ مبعوثٌ من الحقّ إلى الخلق لتكميلهم وتعليمهم الحقائق العلميّة والعمليّة وتحريصهم على الطّاعات والعبادات ومنعهم عن المعاصی والمنهيّات.

وتعرف نبوّته بأمور ثلاثة: أوّلها أن لا يُقرّرَ ما يخالف ظاهر العقل، كالقول بأنّ الباری، تعالیٰ، أكثر من واحد، والثانی أن يكون دعوته إلى الطاعة والاحتراز عن المعصية، والثالث أن يظهر منه بعد دعوى النّبوّة معجزةٌ مقرونةٌ بالتّحدّي، مطابقة لداعواه.

فإذا ظهر من شخص هذه الأمور المذكورة وقام على الطريقة المرضيّة حصل لمن عرف أحواله علم ضروريّ يقينيّ علويّ (١٨) بأنّه نبيّ مبعوثٌ حقّاً، ولا يضرّه احتمال كون سبب ظهور المعجزة أمراً آخر، كبعض الأوضاع الفلكيّة أو التّجارب الطّبيّة أو التّأثيرات النفسيّة المزاجيّة. ولقد أشرنا في صدر كتابنا هذا إلىٰ ما ينحلّ به هذا الأشكال بوجه أظهر، ومزيد توضيحه في دليل الهدىٰ.

وجمهور المسلمين اشترطوا في النّبيّ العصمة في زمان نبوّته، وهی كونُ المكلّف بحيثُ لا يصدرُ عنه معصيةٌ، لا كبيرة ولا صغيرة، لا بالعمد ولا بالسّهو . وقيل: السّهو لا ينافي العصمة إلّا ما يدلّ على الخسّة. وقيل: الصّغيرة لا تخلّ بها.

وأمّا قبل الدّعوة، فالمعتزلة والشّيعة شرطوها، خلافاً للأشاعرة. وقال بعضهم: يجب العصمة في أداء الرّسالة فقط. وشبهة البراهمة في إنكار النبوّة ظاهرة البطلان. وكلام الصّابئة مدفوع، بما قررّته في مناقضاتهم.

والنّسخ لمصلحة مجدّدة جائزٌ. ولا يلزم منه البداء أو الجهل أو البعث .

ولا بعدَ في اختلاف المصالح بحسب اختلاف الأزمان والأحوال. فربّ

دواء يصلح في الصّيف دون الشّتاء، ولزيد دون عمرو. ولهذا ورد في التّوراة: إنّ آدم أمر بتزويج بناته من بنيه، ثمّ نسخ، والحكم بالمنسوخ مرسل والعلم بوجوبه موقّت . وتواتر النّصوص علىٰ تأبيد شريعة موسىٰ بوجه ينافي شريعة نبيّنا ممنوع. وليعلم أنّ المعتزلة والشّيعة أوجبوا أرسال الرّسل على الله، تعالىٰ، خلافاً للاشاعرة .

خاتمةٌ

<محمّدٌ رسولُ الله>

محمّد، صلّى الله عليه وآله صلاةً تليق بكماله، (١٩) رسولُه، تعالىٰ، أرسله بالهدىٰ ودين الحقّ، ولم يخالف الحقّ في ذلك إلّا المشركون والنّصارىٰ واليهود والمجوس ومن يجري مجراهم، بغياً منهم أو حسداً أو عناداً أولوداً، من غير تمسّك بشبهة أو حجّة إلّا اليهود، فإنّهم تمسّكوا بما أشرنا إلىٰ إبطاله آنِفاً .

وحجّةُ المسلمين علىٰ نبوّتهﷺ أنّه ادّعى النبوّة وأظهر المُعجزةَ علىٰ وفق الدّعوىٰ، وكلّ من كان كذلك كان نبيّاً حقّاً، لما بيّنا آنِفاً، ولهذا كان موسىٰ وعيسىٰ وابراهيم، عليهم السّلام، أنبياء مبعوثين بالحقّ .

أمّا دعوى النّبوّة، فالتّواتر والاتفاق حتىّ يجرى مجرى الشّمس في الوضوح والإشراق. وأمّا إظهار المُعجزة، فلأنّه أتىٰ بالقرآن وأخبر عن المغيبات وأظهر خوارق العادات، وبالجملة اتّصف مع الخواصّ المذكورة للنّبوّة بالأخلاق الحميدة والأوصاف الشّريفة والسّير المرضيّة والكمالات العلميّة والعمليّة والمحاسن الراجعة إلى النّفس والبدن والنّسب والوطن ما يجزم بأنّه لا يحصل إلّا لنبيّ بهيّ . ومن نظر فى ما اشتملت عليه شر يعته ممّا يتعلّق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسّياسات وعلم ما فيها من العلوم والحكم، عرف أنّها ليست إلّا وضعاً إلٰهيّاً ووحياً سماويّاً .

واعلم أنّ المتفلسفة يقرّون بالاحتياج إلى النّبيّ والشّريعة. لكن يقرّون علىٰ وجه لا يوافق ما علم بالضّرورة من الدّين، فلنعرض (۲۰) عنه.

تكملةٌ

<اختصاصاتُ نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم>

ممّا خصّه الله، تعالىٰ، نبيّنا محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، من المُعجزات المستتبعة لمزيد الكمالات أنّه أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ، ومنه إلىٰ سماء الدّنيا، ومنها إلىٰ ما شاء الله، تعالىٰ، من الجنّة وغيرها، وكان كلّ ذلك من اليقظة ببدنه، وشبهات المنكرين باطلة.

تذييلٌ

<الإمامةُ رياسةٌ في أمر الدّين والدّنيا>

الإمامة رياسةٌ في أمر الدّين والدّنيا. وذلك بإقامة الشّرائع الحقّة والنّواميس الإلٰهيّة وتقرير القوانين الّتى تنتظم [بها] مناظم النّشأتين وتتّسق بحسب أمور الجهتين. وذهب الأشاعرة إلىٰ أنّه يجب نصب الإمام على الخلق سمعاً، وقومٌ إلىٰ أنّه يجب عليهم عقلاً.

والمعتزلة إلىٰ أنّه واجبٌ على الله تعالى، وقد اتفقوا علىٰ وجوب اتّصاف الإمام بالحريّة والذّكورة والتكليف والعدالة والاجتهاد والشّجاعة وإصابة الرّأى والقرشيّة. وزاد الشّيعة: الهاشميّة بل العلويّة والسّيادة، معه والاِثنى عشريّة منهم خصّصوا بهم والعصمة والمعرفة. والحقّ أنّ معرفة الإمام وإعانته بما تيسّر واجبٌ عقلاً وسمعاً، ويجبُ اتّصافُه بما ذكر، سيّما العدالة عقلاً، وإن لم يجد إمامٌ موصوفٌ بما ذكر، فيجبُ نصبُ خليفة أو أمير وملك يقوم مقامه في المحافظة على قوانين الشّرع والعدالة وحسن السّياسة والإيالة.

الأصل الثامن

في الوعد والوعيد وحقيّة المعاد وسائر المواعيد

قد أشير إلىٰ أنّ القائلين بالحسن والقبح والوجوب العقليّ (٢١) أوجبوا الوعدَ بالثّواب للمكلّفين، لكونه لطفاً أيضاً . وقالوا بحسن الوعيد، لكونه أصلح أو لكونه لطفاً أيضاً . فهم أوجبوا الوعد بالوعد، واختلفوا في الوفاء بالوعيد، فقالت التّفضيليّة ليس بواجب، لأنّه حقّ الله، تعالىٰ، وقالت الوعيديّة: يجبُ، لئلّا يصير الوعدُ كذباً. وأمّا الّذين لا يقولون بالحسن والقبح والوجوب عقلاً، قالوا: إنّ الثّوابَ والعقابَ يتعلّقان بمشيّة الله تعالىٰ، ولا يحسنُ ولا يقبحُ فيه شيء، فلا يجبُ عليه شيءٌ أصلاً .

والحكماء القائلون بثبوت الحسن والقبح في العقل العمليّ دون النّظريّ قالوا بكون السّعادة والشقاوة لازمتين للأفعال الملائمة، كالصحّة لاعتدال المزاح والمرض لانحرافه، وقالوا بالمعاد النّفسانيّ. وأمّا الجسمانيّ فقد أنكره بعضهم وبعضهم أوّله . والحقّ أنّه من ضروريّات دين محمّد، فيجب التصديق به، وكذا سائر السّمعيّات. والسّمعيّ ما ثبت ماهيّته بالسّمع، كسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر للكافرين وعصاة المؤمنين ونعيم أهل الطاعة وقيام السّاعة ونفخ الصّور والصّراط والميزان والحساب والكتاب وشهادة الجوارح والشّفاعة، والجنّة وعرضها عرض السّماوات والأرض، وأبوابها ثمانية، وفيها الكوثر وطوبىٰ، والنّار وفيها الزّقوم، وخزنتها وهم الملائكة الموكلّة على استقراء عدّتها تسعة عشر. فقيل: صفّاً وقيل: صنفاً وقيل: شخصاً .

والأعراف، هو منزلٌ يتوسّط بين الجنّة والنّار وضعاً ورتبةً، وقيل: هو أنزل منازل الجنّة . قيل: بل أعلاها. وقيل: موضعه السّورُ الّتي بين الجنّة والنّار، وكأشراط السّاعة، (٢١) من الدّخان والدّجّال وخروج يأجوج ومأجوج والدّابّة ووقوع الخسفات الثّلاثة الّتي أوّلها بالمشرق وثانيها بالمغرب وثالثها بجزيرة العرب، وطلوع الشّمس من المغرب، ونزول عيسىٰ وظهور المهديّ، عليه وعليهم التحيّة والسّلام .

وليعلم أنّ المشهور عند الجمهور أنّ الكفّار مخلّدون في النّار، والمؤمنون في الجنّة وصاحب الكبيرة والأعمال غير الصّالحة من المؤمنين إن لم يعفو الله عنهم برحمته وشفاعة نبيّهم يدخله جهنّم ويعذّبه عذاباً منقطعاً، ويردّه إلى الجنّة، ويخلّد فيها، لكونه مؤمناً . وقالت الوعيديّة من المعتزلة وغيرهم: إنّ صاحب الكبيرة إن لم يتب كان في النّار مخلّداً، وصاحب الصّغيرة عندهم معفوٌّ عنه، وأطفال الكفّار يلحقون بهم عند أهل السّنّة ويحشرون في النّعيم بلاثواب، كالحيوانات عند غيرهم، وأطفال المؤمنين مع آبائهم في الجنّة .

فائدةٌ

<انتفاع الموتىٰ بالدعاء والصدقة لهم>

الموتىٰ ينتفعون بدعاء الأحياء والصّدقة لهم. وفى انتفاع الأحياء من الموتىٰ اختلاف، وفى الوقوع خلافٌ .

تكملةٌ

<هويّة الإنسان بنفسه الباقية>

هويّة زيد، مثلاً، ليس بشيء من أجزائه، وما به هو هو إنّما هو نفسه الباقية من أوّل عمره إلىٰ آخره، ولا دخل لشيء من خصوصيّات أجزاء البدن في هويّته. ولهذا لم يتبدل مع تبدّل تلك الأجزاء ولا ينعدم ولا يفسد بفساد البدن وعدمه. وبهذا يظهر إمكان المعاد الجسمانىّ ووجوب المعاد الجسمانىّ. وأمّا وجوبُ وقوع الجسمانىّ لابعود الرّوح فقط، بل بإعادة أجزاء البدن أيضاً، فثابتٌ بالضّرورة من دين محمّد خاتم الرسالة .

تمّت الرّسالة في صبح يوم الأحد، ۲۶ شهر شوّال، ختم بالخير والإقبال، بخطّ العبد يونس ابن أحمد ابن حسين ابن اسحاق ابن أحمد النّظامى الحسنىّ الحسينىّ الشيرازىّ، غفر لهم، آمين . (۲۳)

مصنّفات غیاث الدین منصور حسینی دشتکی شیرازی

(۳)

دلیل الهدی

به اهتمام

عبدالله نورانی

۱۳۸۴

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهُمّ أرِنا دليلَ الهُدىٰ، و اهدِنا سبيل التّقىٰ، و ثَبِّتنا على الاهتداء والاقتداء بِغياث الورىٰ ، علم الهُدىٰ ، لازال ناصرُ شرعهِ منصوراً و لواءُ نصرهِ بالفتح منشوراً .

و بعدُ ، فلا يخفىٰ علىٰ أُولى النُّهىٰ أنّ أعلى المُنىٰ إنّما هو إحكام أحكام الدّين و تبيينُ مَشارع الشّرع المستبين ، و أنّ قواعد أصوله هو البِناءُ الأعلىٰ و المقصدُ الأقصىٰ ، و لِنيلها و البلوغ إليها ترى النّاسَ تَسعىٰ ، فكأنّهُم حَيارىٰ، غُلِّق أبوابُها عليهم طُرّاً إلّا علىٰ مَن شاء اللهُ تعالىٰ.

و إنّي رأيتُ بنور الهداية باباً من مدينة العلم و الدّراية، منه ينفتحُ أبوابُ هذا البناء ، و يُقرّرُ أُصولها علىٰ ما يرتضيهِ كلُّ بنّاء . فلهذا ربّما ترىٰ خالفتُ في المشرع الجُمهور ، فدع التقليدَ و خَلّ سَبيلَ المشهور ، و اتّبع الحقّ فإنّه منصورٌ . فإنّي صَرفتُ طَرفاً من أواني و نَبذاً من زماني في تحقيق هذه الحقائق و التّفتيش عن تلك الدّقائق، فسنح لي و انتهىٰ نظري إلىٰ ما لزِمَني اتّباعُه ، و ما وسِعني الميلُ عنه و اتّضاعُه . و هو الّذي أفادهُ الفكرُ و أصابهُ صائبُ النظر ممّا قادني الدّليل إليه ، و قوىَ اعتمادي عليه.

فرأيتُ أن أُشيرَ إلىٰ شيء منها في رسالتي (٢) هذه «دليل الهدىٰ» إرشاداً للعباد ، وأُقرّرَها تقريراً للرّشاد و السّداد ، رجاءً لأن ينفعنى يومَ التّناد ، و لا أعبؤ بمَلام اللّئام و عِناد الحُسّاد ، و ألتمسُ منك أن لا تُبادِرَ في الإنكار قبل التّأمّل و الاستيصار ، فإنّ بالحقّ يُعرَفُ الرّجال ، لا بتقادُم الأزمِنة و الآجال . علىٰ أنّي سلكتُ في مشرعي هذا

نَهجاً قويماً و سَمتاً إلى الحقّ مستقيماً . حاذيتُ حكمَ كتابِ الله المُنزَل علىٰ رسوله المُرسَل، و ما جنحتُ أصلاً إلىٰ ما خيّله الآراء و صوّرهُ الأهواء.

ثمّ لتفهيم الكلام و تقرير المرام ، اقتصرتُ علىٰ تلخيص مجرّد الدّعوىٰ و تقرير خلاصة ما عليه الفتوىٰ . و إنّي أنا العبدُ الرّاجي رحمةَ ربّه الغفور ، أبو عليّ ابن محمّد منصور ، جعل اللهُ سعيَهُ مشكوراً و عملهُ مبروراً . وها أنا أفتتحُ الكلام بفاتحة فائحة فاتحة، فأقولُ :

<فاتحةٌ>

<الأحكام الشرعيّة عقائد علميّة وقواعد عمليّة>

اعلم أنّ الأحكام الشّرعيّة إمّا عقائدُ علميّة أصليّةٌ أو قواعدُ عمليّة فرعيّة . و المشهورُ المقررُ لدى الجُمهور أنّ العقائدَ الأصليّة قسمان : الأوّلُ، ما يُعرفُ به الأنبياءُ ،كوجوده تعالىٰ ، و علمهِ و قدرتهِ و إرادتهِ ، و المُعجزةِ الّتي بها يظهرُ النُّبوّة قَطعاً . و الثاني ، ما يُعرفُ بالنّبيّ و مِنهُ ،كالسّمع ، و البصر ، و البعث ، و الصّراط ، و لميزان ، علىٰ ما يعرفهُ أربابُ العرفان.

ثمّ إنّهُم قصدوا لإثباتِ القسم الأوّل بالدّلائل العقليّة ، فأخذُوا شيئاً من الفلسفة ، و خلطوه بكثير من التّفسطة ، (۳) فسمّوه كلاماً ، و إن لم يكن إلّا كلاماً و لا يُفيدُ إلّا ملاماً ، و حَسِبُوا أنّ هذا يُثبِتُ لهم الدّعوىٰ .

و لعمرى ، إنّهُم كباسطِ ذراعيه إلى الماء ، أوكطالبِ الرُّقيّ إلى السّماء ، فكلامُهُم هذا لا يُغنيهم مِن الحقّ شيئاً، علىٰ ما حقّقناه في مواضع لائقة بهذا.

فلهذا عدلنا عن مسلكهم إلى المنهج الأبلج القويم و الطريق الحقّ المُستقيم . فأثبتُ أوّلاً نُبُوّةَ الأنبياء ، و صِدقَهُم في الدّعوة و موافقتَهُم لِلحقّ في الدّعوىٰ ؛ ثمّ بِكلامِهم سائرَ ما يُهِمُّنا مِن حَقائق الأنبياء ، فجعلنا كتابَنا هذا «دليل الهُدىٰ» مرتّباً علىٰ أصل و وصلين.

<الأصل>

في

<بيان صدق الأنبياء>

أمّا الأصلُ ، ففي بيانِ صدقِ الأنبياء ، و أنّ هؤلاء هُم الدُّعاةُ إلى الحقّ حَقّاً ، سِيما نَبيّنا محمّد المصطفىٰ ﷺ ، و صدقهِ في الدّعوىٰ ، مع إشارةٍ مّا إلىٰ حَقيّة حَقيقته المُستفادة من كلامهم ، و أنّه السّبيلُ إلىٰ نيل مَطلبهم و مَرامهم في الدّعوة إلى الله تعالىٰ . و أوّل الوصلين في العقائد الأصليّة ، و ثانيهما، في القواعد العمليّة الفرعيّة . فلنشرع في تقرير الأصل و نقول :

لا يخفىٰ علىٰ أُولى النُّهىٰ أنّ حُصول العلوم العاديّة الضّروريّة ضروريٌّ في كثير من الصّور ، فكثيراً مّا نتيقّنُ بما لا نقدرُ علىٰ إقامة برهان على الدّعوىٰ علىٰ ما هو شأنُ العلوم العاديّة الضّروريّة كلّها.

و أنت إذا فتشّتَ حالك و خلّيتَ عن الوساوس بالكَ و أمعنتَ قليلاً ، وجدتَ مثاله كثيراً . و من هذا أنّ المُستبصرَ البصيرَ و المُستخبرَ الخبيرَ ربما يتيقّنُ بمعرفةِ أحد و صدقهِ (٤) في ما يحكيه ، و ديانتهِ في ما يرويه ، و أنّه ليس ممّن يُجازِفُ أو يَكذِبُ ، أو يعبثُ أو يلعبُ ، و أنّه يُخبِرُ عن أصل وله خبرٌ ، و أنّ كلامَهُ كلامٌ له أثرٌ.

فمنَ تحقّق فيه هذا و المعارفُ الّتي تتلوه فعرفَ عن تعرُّف أقواله و تتبُّع أحواله و أفعاله : أنّه سالمُ القُوىٰ ، صحيحُ الأعضاء ، جيّدُ الفهم ، لطيفهُ ، حسنُ الحفظ ، سريعُه ، حافظٌ لقوانين العدالة و حُسن السّياسة و الإيالة ، عالى الهمّة ، ثابتُ العزم، شكورٌ ، متينُ الرأي صَبُورٌ ، حسيبٌ ، نسيبٌ ، أصيلٌ ، مَهيبٌ ، كبيرٌ ، كريمٌ ، رفيعٌ ، عظيمٌ ، مُقبِلٌ ، مَقبولٌ ، عادلٌ ، عَدلٌ ، مُعتدلٌ ، فَطِنٌ ، فَصيحٌ ، مُحِبٌّ للصّدق و الصّداقة ، عدوٌّ للكذب و اللّعب و العداوة ، مُعرِضٌ عن الدّنيا و مَتاعِها ، مُقبِلٌ إلى الحقّ و لقائه ، غيرُ شَرِهٍ علىٰ مَنكح شَهيّ أو مأكل سَنيّ ، أو مَشرب هنيّ أو مَلبَس بهيّ .

شأنُهُ الصّيانةُ عَن كلّ ما شانَهُ ، و مكانُه ما يُقرِّبُهُ إلى الحقّ و يرفعُ مكانَهُ ، دأبُهُ البِعادُ عن اللّجاج و العِناد ، و تطهيرُ النّاس عن الجور و الفساد لا يهمّهُ ربطُ الأشهَب و الأدهَم ، و لا ضبطُ الدّنيا روالدّرهم تخلّىٰ عن الخصائل الذّميمة و تحلّىٰ بالفضائل الكريمة ،كالحكمة و الشّجاعة و العفّة و العَدالة و شُعَبِها ، و ظهر منه مِن الحِكَم المُحكمة و الأمور المُتقنة ، و الكشفِ عن المغيبات ، و الإتيان بخوارق العادات ما عجز عنه أمثالُه و أقرانُه و أكفاؤه و إخوانُه ـ

تحقّق و تبيّن و تقرّر بالضّرورة علىٰ ما هو شأن (۵) سائر العلوم العاديّة الضّروريّة أنّ كلّ ما يرويه صدقٌ ، و كلّ ما يحكيه حقٌّ . فلو أخبر مثلُ هذا الشّخص أنّ للعالمَ صانعاً قديماً قديراً عليماً مريداً ، و أنّه مُرسِلٌ له و هو رَسُولٌ مأمورٌ مِن اللهِ لِعبادهِ ،كانَ صادقاً في دَعواه حقّاً ، مُصدّقاً في ما قصدهُ و عناهُ.

ثمّ إنّ الأخبار المتواترة عن الأشخاص السّالفة و القُرون الخاليةِ دلّت على اتّصاف كثير من الآحاد الماضية بما مضىٰ ذكرُها ،كآدم وشيث، وإدريس، وإبراهيم، وموسىٰ، و داوود ، و سليمان ، و عيسىٰ ، و محمّد ـ عليهم الصّلاة و السّلام ـ و أنّ محمّداً ﷺ قد اتّصفَ،مع ما مضىٰ، بفضائل أُخرىٰ لا تكادُ تُحصىٰ. فحصل لنا علمٌ ضَروريٌّ عاديّ بأنّ هؤلاء همُ الصّدّيقونَ الأصدقاءُ العارفونَ العرفاءُ حَقّاً ، و أنّهُم لا يكذبون قطعاً .

ثمّ إنّهمُ أخبرُوا بأحوال شتّىٰ مِن مَبدئنا و مَعادنا ، و مَبدأ العالم و مَعادهِ ، علىٰ ما يصلُ إليه أفهامُنا و يتلقّاهُ عقولُنا و أوهامُنا : فيجبُ إذعانُنا بهذه المعارفِ كلّها ، سِيّما و لم يَحكم عقولُنا بما يُخالِفُ شَيئاً منها . فالسّعادة العظمىٰ و المرتبةُ القُصوىٰ تلقّي أقوال هؤلاء بالقبول و جعلُ حِكمِهم و أحكامِهم مَبنَى الأصول ، لِلوصول إلىٰ غايةِ ما يقتضيهِ العقولُ. فهذهِ هي الطريقةُ الحَقّةُ الّتي هدانا اللهُ تعالىٰ إليها ، و مَن سلكها وصل إلىٰ غايةِ ما يتمنّىٰ ، مِن السّعادة العُظمىٰ و المَرتبة الكبرىٰ في الآخِرَةِ و الأولىٰ .

فعلى الطريقةِ الحقّةِ الصّحيحةِ المُستقيمةِ الّتي سَلكناها يَحصُلُ لنا معرفةُ الله تعالىٰ، (۶) و العلمُ بصدقِ الأنباء مِنَ الأنبياء الأُمَناء العُرفاء ، سِيّما نبيِّنا مُحَمّد خَيرِ الورىٰ ، عليه أفضلُ الصّلاة والسّلام.

و الحكماءُ قنعُوا بِمُجرّد العقل . و فيه ما لا يخفىٰ علىٰ أرباب النُهىٰ و أصحابِ الفِطانة و الدَّهىٰ ، وَ يَفوتُ عنهُم مَقاصِدُ شتّىٰ.

وَ أمّا المتكلّمونَ ، فقد قسموا المَعارفَ إلىٰ قِسمَين ، الأوّل : ما لا يُعرَفُ مِنَ الأنبياء ،كوجوده تعالىٰ ، و وجوبه ، و قدرته ، و إرادته تعالىٰ ، و معرفة النُّبوّة و المُعجِزة و إرسال الرّسل ، و نُبوّة الأنبياء ، و الثّاني : ما يُعرَفُ مِن هٰؤلاء؛ و حَسِبُوا أنّ عقولهُم مُستقلّةٌ بِمعرفةِ القِسم الأوّل ، دونَ الثاني ، و أنّ فائدةَ النّبوّة مُعاضَدَةُ العقل في ما يَستقلُّ بِمعرفته و إفادةُ ما لا يَستَقِلُّ به .

و مَن تفطّنَ بكلامِهم ، عرفَ أنّهُم عجزُوا عن الإتيانِ بما قصدوا ، و أنّه ليس لهُم من العقول ما يفى بإثباتِ ما ذهبوا إليه مِنَ الاُصُول ؛ فإنّهُم عاجزونَ عن إثباتِ الوجود ، و الوجوب ، و العلم ، و القدرة و الإرادة و المعجزة و النّبوّة و الرّسالة . و غايةُ مَرامِهم و نِهايةُ كلامِهم أنّهُم خلطوا قليلاً من الفلسفةِ بكثير من السّفسطةِ . فالإعراضُ عنه أولىٰ ، و الاتّباعُ لما أشرنا إليه أليقُ و أحرىٰ .

و لقد بَينّا في مواضعَ تليقُ بها : أنّ هؤلاء ليس لهمُ منَ الكلام ما يفى ببيانِ مالهُم منَ المرام ، و أنّهم كيف عجزُوا عن إثباتِ الوجود ، و الوحدة ، و العلم و القدرة و الإرادة و المُعجِزة و النّبوّة و الرّسالة. وقد هدانى الله بحسن هدايته و لطف عنايته إلىٰ دلائل صحيحة سالمة تامّة عقليّة بعقد إثبات هذه المطالب الشرعيّة بوجوه شريفة علىٰ ما أفصحت (٧) عنها في رسالة أخرىٰ .

<١> إرشادٌ وتنبيهٌ

أربابُ الأرصاد الرّوحانيّة أجَلُّ شَأناً و أرفَعُ مَكاناً مِن أصحابِ الأرصاد الجِسمانيّة. فصَدِّقهُم كما تُصَدِّقُهُم في حكايةِ كميّةِ الأجرام وكيفيّاتِ أوضاع الأجسام.

<٢> إيقاظٌ وتنبيهٌ

اعتَبِر بكيفيّةِ اعتبار العلوم الضّروريّة لدى الأنام في جُلّ أحوالِهم مِنَ اليَقَظَةِ و المَنام .

الوصلُ الأوّلُ
في
تبيين عقايد الدّين

و فيه مطلعٌ و مقاصدُ

المَطلَعُ

اتّفق كلِمَةُ الكمَلَةِ مِن العُلماء علىٰ أنّ المقصدَ الأقصىٰ و الغاية القُصوىٰ، الّذي يترتّبُ عليه السّعادةُ العُظمىٰ في الأُخرىٰ وَ الأُولىٰ، إنّما هُوَ مِعرفةُ الآخرةِ و الأولىٰ، و هُما المبدأ و المَعادُ، و اختلفت الأهواءُ و اضطربت الآراءُ فيهما ماهيّةً و إنيّةً. و أنَا أُحَرِرُهُما تحريراً لا تَجِدُ في كلام غَيري إليه سَبيلاً، فأقولُ:

إنّهما يُعتَبران تارةً مَقيساً إلىٰ الكلّ و أُخرىٰ إلى كلّ من الكلّ مُعيّناً نوعاً أو شخصاً، و علىٰ كلّ وجهٍ يعتبرُ بوجهين: أوّلهُما الأوّل و الآخِرُ مُطلقاً. و هُما فيهما ليس إلّا اللهُ تعالىٰ، «هو الأوّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطِنُ». و ثانيهما أوّلُ الأمر وابتداؤهُ في ظهورهِ و تقرّرهِ، و آخِرُهُ انتهاؤهُ في كونهِ و تعيّنهِ.

و لقد رأينا أن نقتصِرَ في هذا المُختصر على الإشارة إلىٰ مبدأ الكلّ و مَعاده بالوجهِ الأوّل أوّلاً، ثمّ إلىٰ مبدأ العالم و الإنسانِ و مَعادهِما بالوجهِ الثاني ثانياً. و نُبَيِّنَهُما في الإنسانِ نوعاً و شخصاً.

فلنجعل كلامَنا في هذا مَعقوداً علىٰ أربعةِ مقاصِدَ، يكونُ المقصودُ (٨) من كلّ مقصدٍ منها مقصداً منها. المقصدُ الأوّل في مبدأ الكلّ و معاده بالوجه الأوّل، المقصدُ الثاني في مبدأ العالم بالوجه الثانى و معاده، المقصدُ الثالثُ في مبدأ الإنسانِ و معادهِ نوعاً. المقصدُ الرابع في مبدأ الإنسانِ و معادهِ شخصاً بوجهٍ كلّيّ.

المقصد الأوّل
في
مَبدأ الكلّ بالوجهِ الأوّل

وَ لَقد رَأيتُ أن أُشيرَ إلىٰ ما انعقد عليه اعتِقادي و استقرّ عليه اعتِمادي ، إشارةً مُتضمّنةً لإنارةِ المقاصد و إثارةِ فرائدَ مِنَ الفوائدِ ، فأقولُ :

إنّه هو اللهُ ، سُبحانه، موجودٌ ، واحدٌ ، حيٌّ ، لا قديمَ سِواه ، عالمٌ بذاتهِ و بكلِّ ما عداهُ ، مريدٌ ، قديرٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، بريءٌ عن زعم أربابِ الإلحاد من الحُلول و الاتّحاد ، منزّهٌ عن التغيُّر و الانتقال ، و الحُدوثِ و الزّوال ، ليسَ له الأجزاءُ و الأنحاءُ ، يُبدِءُ الخلقَ و يُعيدُهُم يومَ الجَزاء.

و مِن مخلوقاتهِ الّتي لا تُعدُّ و لا تُحصىٰ ، الملائكةُ و النّاسُ ، و مِنهُم الرّسلُ و الأنبياءُ ، خصّهُم بمزيد الإنعام و الإكرام ، و أعطاهُم الحكمةَ و الكلامَ ، و قدّرَ لهُم و لكلّ ما قدّر عليه مقتضىٰ حكمتهِ و إرادتهِ من الخير و الشّرّ و النّفع و الضّرّ ، و كلُّ ما اقتضاه رضاهُ ، فهو خيرٌ محضٌ ، و لا شرَّ إلّا بالعرضِ.

ثمّ إنّ الله تعالىٰ خلق ، بحكمهِ و حكمتهِ و إرادتهِ و قدرتهِ الأرضَ و السّماء علىٰ ما شاء ، فاعتنىٰ بالأرض و دحاها و استوىٰ إلى السّماء و هى دُخانٌ فسوّاها ، و هى سَقفٌ ، سُقفُها الغَمامُ ، فأنزل به مِنها ، مِن بَحر الرّحمة (٩) و جِبالٍ مِن بَرَد حسَبَ المرام ، المطرَ و الثّلجَ علىٰ ما شاء و مَن شاء من الأنام في الأيّام . ثمّ السّحابُ ، و هو الغَمام ، خلقٌ مِن خلق اللهِ تعالىٰ ، و له ملكٌ موكّلٌ به مِن عند اللهِ ، يَجعلهُ رُكاماً و يَسحَبُهُ غَماماً ، معه مَخاريقُ من النّار، فالرّعدُ صوتهُ و البرقُ برقُها.

و إنّه ـ سبحانه ـ زيّن السّماء الدنيا بِمصابيحَ ، و جعلها رُجُوماً للشّياطين ، و أنّه يُرسِلُ الرّياحَ بأمره، و قدّر الأرضَ بِحكمتهِ و حُكمهِ بقافٍ علىٰ ثَور و حُوتٍ في ماء و هواءٍ علىٰ صَخرةٍ مُعتمدةٍ علىٰ فلكٍ مُعلّق بقدرتهِ.

و للسّماواتِ طَبقاتٌ فيها مَخلوقاتٌ ، وَ الملائكةُ أجسامٌ لطيفةٌ ، شأنُها الطّاعاتُ و مَكانُها السّماواتُ ، ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ، (التحريم ، ۶).

و ربّما ظهر من أفعالِهِ ـ تعالىٰ ـ ما لا مَدخلَ لهُم فيه أصلاً . و مِنهُم النّاموسُ النّازلُ بالوحي و الكتاب إلىٰ أنبيائهِ و أُمنائهِ الذينَ هُم أربابُ الألباب و أصحابُ الكتاب . و يَجِبُ التّصديقُ بِكلّ ما جاء به النّبيُّونَ.

و أمّا الأنبياءُ فهُم الأصدقاءُ المصدّقون ، سِيّما في ما أتَوا به مِن حُدوث أجزاء العالم بالتّمام ، و انحلالِها عن هذا النّظام ، و قِيام يوم القِيام ، و حَشر أجسادِ الأنام و أنّ المُعادَ في المَعادِ هُو بعينهِ أبدانُنا ، لا أبدانٌ مّا . وَ ذلِك قَريبٌ و مُنكِرُهُ في ضَلال بَعيدٍ.

المقصد الثانيّ

<في>

<«مَبدأ العالَمِ بِالوَجهِ الثاني وَ مَعادِهِ>

قد تبيّنَ بما تقرّرَ : إنّ الإلٰهَ ـ تعالىٰ ـ واحِدٌ ، واجِبٌ لذاتهِ ، و سائرُ المَوجوداتِ مُمكنِةٌ ، حادثةٌ ، مُستندةٌ إليهِ. و ليسَ حُدوثُها و صُدورُها منه ـ تعالىٰ ـ دَفعةً (۱۰) واحِدةً ضرورةً ، فإنّه ـ تعالىٰ ـ أحدثَ العالمَ و أجزاءهُ بتدريج و ترتيبٍ ، اقتضاهُ علمُه و إرادتُه ، فخلق أوّلاً السّماواتِ و الأرضَ ، ثمّ دبّر الأمْرمِنها إليها .

وَ ليُعلَم أنّ للعلماء في كيفيّة خلقِهما اختِلافاً . فمِنهُم مَن ذهبَ إلىٰ تقدّم السّماء ، ناظِراً إلىٰ قوله تعالى : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَـٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَـٰهَا ۞ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَـٰهَآ﴾ (النازعات ، ۲۷ ـ ۳۰)

و منهم ، مَن حَكمَ بِتَقدُّم الأرض ، مُتَمَسِّكاً بقولهِ تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، ۲۹).

و قوله : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۞

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (فصلت، ٩ ـ ١٢).

و المفسّرون قالوا: خَلقُ الأرضِ في يَومَينِ، و تقديرُ الأقواتِ فيها في يَومَين آخرَين، فالمجموعُ أربعةُ أيّام، و خلقُ السّماء في يَومَين آخرَين. فالمجموعُ سِتّةٌ، كما قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. (يونس، ٣).

ثمّ الإمامُ الرّازيُّ و الواحديُّ و كثيرٌ مِنَ المُفسّرينَ اختاروا المذهبَ، (١١) الأوّل مُتمسّكينَ بِما مرّ، مُجتنِبينَ عَن دلائل الخَصِم قائلين بأنّ «ثمّ» في قوله تعالىٰ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ (فصلت، ١١) ليس للترتيب في الخلق، و أنّها علىٰ جهةِ تعديدِ النّعَم، كما تقولُ لِغيرِكَ: «أ لستُ قد أعطيتُك نِعَماً عظيمَةً، ثمّ رَفعتُ قَدرَك، ثمّ دَفعتُ عنك خَصمَك». وَ لعلّ بعضَ ما أخرتَهُ في الذّكر مقدّمٌ في الوقوع. و أيضاً الخلقُ في قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة، ٢٩) بمعنى التّقدير. و فيه نظرٌ.

و صاحبُ الكشّاف و بعضٌ آخرُ، اختاروا تقدُّمَ الأرض. و لمّا ردّ عليهم: بأنّ قولكُم هذا يُناقِضُ قولَهُ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾. أجابُوا: بأنّ جِرمَ الأرض مُقدّمٌ خَلقُها علىٰ خَلق السّماء، و أمّا دَحوُها، بمعنىٰ بَسطِها، فمتأخّرٌ.

و يُؤيّدُ ذلك، ما نقل عن أبي الحسن و الحسين عليهما السلام: «إنّه خلق الأرضَ في موضع بيتِ المَقدِس كهيئةِ الفِهر، عليها دُخانٌ ملتزقٌ، ثمّ أصعد الدّخان، و خلق منه السّماواتِ و أمسَكَ الفِهرَ في موضعِهِ و بَسط مِنهُ الأرضَ». و يُؤيّدُ ذلِك قولُهُ تعالىٰ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ و الفِهرُ: الحَجَرُ مِلأَ الكفِّ.

وأُورِدَ عليهِ: أنّ الأرضَ جِسمٌ عظيمٌ يَمتنعُ انفكاكُ خلقها عن تدحيتِها وبسطِها.

و يَرِدُ عليهِ أيضاً: أنّ قولهُ تعالىٰ: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة، ٢٩) يدلُّ علىٰ أنّ خَلقَ الأرضِ جَميعاً و خَلقَ ما فيها مُقدّمٌ علىٰ خلق السّماء، لكن خلقُ الأشياء في الأرض لا يُمكِنُ إلّا إذا كانت موجودةً مبسوطةً.

ثمّ لا يذهبُ عليك : (۱۲) أنّ قول مَن قال : «خلقُ السّماء مقدّمٌ ، لكونها ألطفَ و أشرفَ و تسويتُها متأخّرٌ» مُزيّفٌ بقولهِ تعالىٰ : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ (النازعات ، ۲۷) علىٰ ما نقلنا. اللّهُمّ إلّا أن يُقال : اللّازمُ من الآية تقدّمُ التّسوية مُطلقاً و المُتأخّرُ تَسويتُها سَبعاً . و يُحتَملُ أن يَكونَ لها تَسويةٌ أخرىٰ غيرُ هذا .

لكنّ الحقّ عِندي : أنّ خلقَ الأرض علىٰ عِظَمِها و بسطِها و تقدير الأقواتِ فيها مُقدّمٌ علىٰ خَلق السّماء وَ تَسويتِها سَبعاً ، و دَحوها ، لا بالمعنى الّذي قرّر و نُسِبَ إلىٰ صاحبِ الكشّاف ، بل بِالمعنى الّذي قرّرناهُ في رسالتِنا المعمولةِ لذلك .

و زَعَمَ المتكلّمونَ: أنّ الله، تعالىٰ، خَلَقَ الأجزاء الّتى لا تتجزّىٰ ، فكانت مُظلِمَةً عديمةَ النّور ، ثمّ ركّبها و جعلها سَماواتٍ و كواكِبَ و شَمساً و قَمَراً ، فأحدثَ الضّوء فيها ، و جَعَلَها مُستنيرةً ، فصحّت تَسميةُ تِلك الأجزاء قبل استِنارتِها بالدُّخانِ ، إذ لا نَعنى بالدُّخانِ إلّا أجزاءً مُتفرّقةً عَديمَةَ النّور . و لا يذهبُ عليك فسادُ زعمِهم و بُطلانُه من وجوهٍ .

<علاماتُ و أشراط يوم القيامة>

اعلم أنّ الله ـ تعالىٰ ـ قضىٰ لبقاء هذا العالم أجَلاً مُسمّىٰ ، فإذا انقضىٰ و قَرُبَ قِيامُ القِيامَةِ الكبرى قام قبلهُ ، و عندَه أشراطٌ و عَلاماتٌ و أماراتٌ . فمِنها الدّخانُ ، و الدّجّالُ ، و خروجُ يأجوجَ و مأجوجَ ، و الدّابّة ، و هي الحَسّاسة ، و وقوعُ الخَسفاتِ الثلاثِ الّتي أحدُها بِالمَشرق و ثانيها بالمغربِ و ثالثها بجزيرةِ العرب، (۱۳) و طلوعُ الشّمس مِنَ المغربِ، و نزولُ عيسىٰ، و ظهورُ المهديّ ، و النّفختان في الصّور .

اعلم أنّ أماراتِ القيامةِ و حالاتِها و أحوالَها و علاماتِها متكثّرةٌ مَتعدّدةٌ مَعدودةٌ مَعلومةٌ مِنَ الآياتِ و الآثار مَسطورةٌ في السُّنَن و الأخبار ، إلّا أنّه لا نصَّ علىٰ كيفيّةِ التّرتيبِ بينَها.

و الّذي انتهىٰ نَظري : أنّهُ عِندَ آخِرِ الدُّنيا تكونُ النّفخةُ الأولىٰ ، ثمّ الثّانيةُ علىٰ رأس أربعينَ بعدَها. و فيما بينهُما الزّلازلُ و إخراجُ الأثقال و مدُّ الأرض و دكُّ

الجِبال ، و صَيرورتُها كالعِهن المَنفوش و الهَباء ، و كذا تسجيرُ البحار و تنسيفُها و تفجيرُها ، وطيُّ السّماء و شَقّها و تَفطيرُها ، و تغييرُ الشّمس و تكويرُها و انتثارُ النّجوم و تكديرُها و تغيّرُ الأرجاء ، و تبدّلُ الأرض و السّماء. وعند الثّانية ، تكونُ الرّادفةُ المُوجِبَةُ لإخراج الموتىٰ و بَعثرةِ القبور و تزويج النّفوس .

و بعدَ هذا يتحقّقُ الاجتماعُ في المَحشر حَيثُ أراد الله تعالى ، و عِندَها يكونُ حَشرُ الوحوش و تعطيلُ العِشار و إزلافُ الجنّة و تسعيرُ النّار و فتحُ أبوابِ السماء ، و هي غيرُ ماكانت في الدّنيا.

و عندَ كمال الاجتماع في المَحشر يكونُ برقُ البصر و خسفُ القمر ، و جَمعُ الشّمس و القَمَر ، و سؤالُ الموءودة و نزولُ الملك ، و نشرُ الصّحف ، و الحِسابُ، و وزنُ الأعمال.

و ذلك أنّه إذا كمل الاجتماعُ و حصل الوقوفُ في الموقفِ يَتحقّقُ أوّلاً نزولُ الملائكة ، ثمّ الوقوفُ و العرضُ، ثمّ نشرُ الصحف، ثمّ الحساب ، ثمّ السُّؤالُ ، ثمّ الميزانُ ، و شهادةُ الشّواهد من الجوارح و غيرها ، (١٤) ثمّ المرورُ على الصّراط ، و الوصولُ إلى الجَنّة أو السّقوطُ في النّار ، ثمّ أراد اللهُ الخروجَ منها بشفاعةٍ أو غيرِها . و الشّفاعةُ كما تكونُ بعدَ السّقوط في النّار تكونُ قبلهُ ، و لنبيّنا خاصّةً شَفاعةٌ أخرىٰ هى الشّفاعةُ بفصل القضاء . ولهذا مزيدُ تفصيل تجدُها في **«السُّنَن السّنيّة»** .

المقصدُ الثّالثُ
في
مَبدأ الإنسانِ ومَعادِهِ نَوعاً

و ذلك يتبيّنُ عند تبيُّن كيفيّة حُدُوثِ العالم بأجزائها الّتي منها النّشرُ و النّظرُ في مَعادِهِ و حالِه في مآله عِندَ المَحشَر . و لقد فصّلنا هذا في **«السُّنَن السَّنيّة»** و قد أشَرنا إلى شيء منها في المقصدِ السابق.

المقصدُ الرّابعُ

في

<مَبدأ الإنسان ومَعادهِ شَخصاً بوجهٍ کلّيّ>

اعلم إنّ الله تعالی خلق کلّاً من آدمَ و أولادهِ، في سَبع درجاتٍ، علیٰ ما اقتضاه حکمُه و حِکمتُهُ حسبَ ما أشار إليه في مواضَع من کتابهِ الکريم.

أمّا آدمُ، فخلقهُ مِن تُراب، ثمّ مِن طِين، ثمّ مِن حَمَاء مسنون، ثمّ مِـن طِـينٍ لازِبٍ، ثمّ مِن صَلصلالٍ کالفَخّار، ثمّ الاستواء و نَفخ الرُّوح.

و أمّا أولادُهُ، فلکلّ أيضاً سَبعُ دَرَجاتٍ، علیٰ ما ورد في التّنزيل، حيثُ قال:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون، ۱۲ ـ ۱۴)

و أمّا مَعادُ کلّ شَخصٍ فَبحسبِ عقائدِه و أعمالِه. و تفصيلُه مِمّا لا يخفیٰ علیٰ أولی النّهیٰ.

۱ـ کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی، مجموعهٔ ۵۰۷.

۲ـ تمّت الرّسالةُ الشّريفةُ علیٰ يد الفقير الجاني صفيّ الدّين الکرمانيّ، في ثالث عشرين شهر جمادي الثانيّ، ۹۴۹، ببلدة اصفهان، حماها اللهُ عن طوارقِ الحدثانِ. قابلتُ مع نسخةٍ سقيمةٍ. مأخذ: کتابخانهٔ وزيری يزد، ش ۳۵۷.

۳ـ و در مجموعهٔ خطی مرکز احياء ميراث اسلامی، فـيلم، ش ۹۴۴، چـنين است: «تمّت الرّسالة هذه في صبح يوم الاثنين ۲۷ شهر شـوّال، خـتم بـالسّعادة و الإقبال سنة ۹۴۸، بخطّ العبد يونس النظاميّ.»